
14
روايات مصرية للجيب
فانتازيا
مِنْ بَعْدِ سوبر مان
Looloo
www.dvd4arab.com

مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لا تتغيّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جمعيًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

مراجعة عامة لما سبق !

كلما حاولت أن أتخلى عن عادة تكرار ما سبق فى القصص ذات الجزأين ، وجدت أن عددًا لا بأس به من القراء لم يجد الجزء الأول ، أو وجده وأضاعه ، أو وجده ونسى ما به ، وهو ما يهدد بجعل الجزء الثانى غير ذى معنى ، كنصف الجنيه الذى كانوا يعطونه للقرويين فى الانتخابات مشترطين عليهم انتخاب (فلان) ليظفروا بالنصف الآخر ..

لن يكون ملخصًا طويلاً .. أعدكم بهذا ..

لقد ارتحلت (عبير) إلى (فانتازيا) من جديد ..

وفى هذه المرة اختارت عالم (سوبرمان) كما صوّره الفنانان الأمريكيان (جوشستر) و(سيجل) ..

وكما هى العادة فى (فانتازيا) ؛ وجدت ذاتها تلعب دور (لارا) الصحفية الحسناء فى جريدة (ديلى بلانت) .. وزميلها فى العمل الذى لا تعرف إنه هو (سوبرمان) هو الصحفى الخجول (كلارك كنت) ..

إن قواعد اللعبة هى البساطة ذاتها : (سوبرمان) هو ضيف فضائى من كوكب (كربتون) ذى الشمس الحمراء .. أبوه هو (جور ـ آل) أعظم علماء (كربتون) والذى اخترع طريقة منطقة الأشباح لنفى المجرمين الخطرين .. وبالتالى يحقد كل هؤلاء عليه وعلى ابنه ..

ينفجر كوكب (كربتون) تحت وطأة التجارب الذرية الخرقاء ، فلا يجد (جور ـ آل) سوى أن ينقذ ابنه بأن يرسله إلى كوكب الأرض فى صاروخ .. وكان يعلم أن شمسنا الصفراء ستجعل منه بطلاً جبارًا يطير ولا يخترق الرصاص جسده إلخ ..

لكن كل نيزك من بقايا (كربتون) كان كارثة فى حدّ ذاته .. لأنه يحمل مادة (الكربتونيت) التى تضعف (سوبرمان) أو تقتله ..

ويشبّ (سوبرمان) على أرضنا .. يكافح الجريمة ويمنع الكوارث ويظفر بحقد ومقت أكثر الأوغاد ..

وبالطبع كان على (سوبرمان) أن يجد شخصية سرية يتوارى وراءها .. وكانت هذه الشخصية فى حالتنا هى شخصية (كلارك كنت) الصحفى الوديع

الخجول ، الذى يحاول الظفر بحب (لارا) فلا ينال سوى عطفها ..

وهنا جاء دور (لكس لوثر) ..

(ولكس لوثر) ـ كما عرفنا ـ هو ألدّ أعداء (سوبرمان) طرًا .. وهو عالم شرير يملك ذكاء الثعالب وشرّ العقارب ..

ينجح (لوثر) فى الحصول على قطع من نيزك يحوى (الكربتونيت) النقى وهذا ـ طبعًا ـ بمعونة مجرمى منطقة الأشباح ..

ويشعر (سوبرمان) بذلك فيدبّر مع (لارا) ـ التى تعرف شخصيته السرية الآن ـ مكيدة لا بأس بها : سيتظاهر بأنه مات .. وبالتالى يتخلى خصومه عن حذرهم ويكشفون عن أنفسهم ..

لكن (لوثر) العبقرى يحسن المراقبة واستخلاص النتائج .. بالتالى يعلم أن (سوبرمان) حىّ يرزق وأنه هو (كلارك كنت) ، وتجرى عملية اقتحام جريئة لدار (ديلى بلانت) ، حيث يقوم رجال (لوثر) بتعفير المكان بغبار (الكربتونيت) .. بالتالى يفقد (سوبرمان) قواه ويخطفونه ..

وأمام العالم كله يعرض (لوثر) عملية إعدام (سوبرمان) مستخدمًا (الكربتونيت) الأخضر ..

ثم يعلن خبرًا باسمًا جديدًا : إنه يعيّن نفسه حاكمًا عسكريًّا للولايات المتحدة ، وما لم يقبلوا هذا سيكون انتقامه مروعًا باستخدام الفيروس الذى ابتكره ، القادر على إذابة المواد الجامدة ..

إنها لطعنة عاتية لحضارتنا التى تعتمد على المواد الجامدة فى كل شىء .. وعلى سبيل الاقناع يعرض (لوثر) عملية إذابة برج (إيفل) فى باريس ..

وهنا تتركنا القصة إلى لقاء آخر ..

لقاء نعرف فيه ما يحدث فى عالم من دون (سوبرمان) ...

★ ★ ★

١ - عصر الرعب ..

جرى كل شىء كما يحدث فى الكوابيس ..

فى البدء ظهرت على شاشات التلفزيون تلك اللافتة التى تقول : سيلقى الرئيس بيانًا مهمًّا للمواطنين الأمريكيين ، وكانت الخلفية هى موسيقا السلام الوطنى الأمريكى (علم النجوم اللامعة) بلحنها الحزين الرهيب ، مما جعل عيون المشاهدين تدمع تأثرًا وهم يشعرون برهبة ما ستجلبه الدقائق التالية .. بل إن بعض النسوة تقيأن من فرط الانفعال ..

ثم ظهر وجه الرئيس والعلم وراء ظهره .. كان مهزومًا حزينًا كما توقع الجميع .. وبصوت محشور فى حلقه قال :

- « إن الساعات الأخيرة جعلتنا نعيد تقويم الموقف .. من الواضح أن خطرًا داهمًا يتهدد حضارتنا .. وهذا يدفعنا إلى القبول بترك البيت الأبيض للسيد (لوثر) .. ونحن نعرف حكمة الشعب الأمريكى وقدرته على فهم الموقف ..

ـ « إن المقاومة شىء جميل .. ولربّما قاومنا لو كان الأمر يتعلق بفناء بضعة آلاف أو ملايين .. لكن حضارتنا هى ميراث يجب أن ننقله سالمًا إلى أبنائنا .. وهو أهم بالتأكيد من أية كبرياء شخصية أو تعصبات ذاتية ..

« إن أحفادنا لن يعيشوا فى الكهوف ، حتى لو كان الثمن هو سيطرة (لوثر) على هذه البلاد .. والأشجار التى تنحنى للعواصف يصعب اقتلاعها .. وما دامت لم تُقتلع فالأمل ما زال قائمًا فى أن تنتهى العاصفة وتستقيم جذوعها من جديد .. »

واختفت صورته الكئيبة من على الشاشة ..

فى نفس اللحظة دوت صرخات الهلع والاستنكار .. انتحر كل من لم ينتحروا بعد .. وصرخت النسوة .. وبكى الرجال غلاظ القلوب وهم لا يصدقون ما حدث ...

بعد لحظات ظهر وجه (لوثر) الدميم ، وصلعته تلتمع نشوة :

ـ « أيها المواطنون الكرام .. لقد بدأ عصر المجد .. انتظروا ما يلى من بيانات مهمة .. »

وأمام شاشة التلفزيون جلست (عبير) تعض

أناملها حتى أدمتها .. فقد كانت هذه أسوأ ساعات حياتها طرًا ..

لم تستطع أن تصدق أن كل هذا حقيقى .. نعم هى تعرف أنه ليس حقيقيًا .. لكنه ـ بمنطق الحلم ـ واقع لا ريب فيه .. حين يموت بطل الفيلم السينمائى لا يحدث هذا فى الواقع للممثل .. لكنه يموت بلا ريب بالنسبة لأبطال الفيلم الآخرين ...

بعينين دامعتين ذاهلتين ترقب الجسد العملاق الذى كان فيه قلب يحبها .. جثة (سوبرمان) يحملها أربعة من رجال (لوثر) .. ثم يعلقونها بالحبال من قوس نصر أقاموه فى (سنترال بارك) والكاميرا تدور حول الجثمان مرارًا .. ترينا بشرته التى كساها اللون الأخضر .. وترينا الكدمات والسحجات التى ما كان مخلوق يجسر على إحداثها بـ (سوبرمان) وهو حىّ ....

وتحت الجثمان جلست حثالة من الأوغاد ، يجرعون الخمر ويرقصون ويضحكون .. إنه انتصارهم الذى لاشك فيه ..

★ ★ ★

وراحت سيارات تتجه إلى (واشنجتون - دى سى) بينما عربات أخرى ترحل عنها .. سيارات يبدو على راكبيها السرور وسيارات يبدو على راكبيها الهمّ ..

أما السيارات الأولى فهى كل رعاع وأوغاد ولصوص وسفاحى ومارقى وخونة ومعتدى الولايات المتحدة .. أما السيارات الثانية فتضم أفراد الحكومة - بمن فيهم الرئيس - والمواطنين الأبرياء ، الذين لم يريدوا أن يبقوا فى وكر الأفاعى الذى ستتحول إليه العاصمة ..

والآن دعونا ندنُ مع كاميرا التلفزيون لننقل لكم صورة حية لوفود القادمين .. وهى وفود غريبة الشكل نوعًا ..

السيارة الأولى بها حشد من الرجال لا يوحى منظرهم بالثقة ، كلهم يدخنون - بل يمضغون السيجار - وذقونهم غير حليقة .. ويلوحون بالبنادق الآلية .. ويقهقهون فى جشع ..

تدنو منهم المذيعة حاملة مكبر الصوت :

- « أ .. مرحبًا يا شباب .. »

يتقدم منها أشرس الرجال وأضخمهم .. والوحيد

الذى يضع عصابة سوداء على عينه .. ويقول وهو يتجشأ بفعل ما شربه من جعَة :

- « مرحبًا أيتها الحسناء .. »

تبعد الأبخرة الكريهة عن أنفها ، وتقول :

- « يبدو لى أنكم ذاهبون إلى العاصمة ؟ »

- « هذا حق .. ذاهبون إلى (المدعوقة) كى نخربها ونقعد على تلِّها) نياها ها ها ها ه ! »

ومع الـ (نيا ها ها ه) يقهقه كل الرجال ، ويصدر أحدهم صرخة (ييبى) كالتى كان يطلقها رعاة البقر .. ويقول زعيمهم وهو ينقر على صدره المتسخ :

- « أنا (جو القذر) .. ومعى حفنة من الأحباب كلهم جاء من سجن (سنج سنج) نياهاهاهاه ! »

- « أحقًا ؟ هاربون ؟ ولماذا لم تعتقلكم الشرطة ؟ »

- « من تحدث عن الهرب هنا يا قطة ؟ لقد أصدر الحاكم العام أمرًا بالعفو عن كل نزلاء (سنج سنج) .. ألم تسمعى هذا ؟! »

وينشد أنشودة بذيئة ويركب السيارة .. ويتحرك الموكب الرهيب .. السيارة الثانية بها رجل احترق نصف وجهه .. وقد استبدل بيده من أسفل المعصم كلابات حديدية ..

ـ « أ .. مرحبًا .. هل لنا أن نتعرفك ؟ »

ـ « أنا (قنبلة) .. أخصائى المفرقعات الأول فى البلاد .. ونزيل سابق فى مصحة (جيفرسون) العقلية .. بسبب جنون الحرائق ! »

ـ « ما شاء الله .. وما سر ذهابك للعاصمة ؟ »

ـ « لقد طلبنى الحاكم العامّ .. يقال إن هناك كثيرًا من المرح مع القنابل الهيدروجينية ! »

ـ « نرجو لك المزيد من الاستمتاع .. »

ونظرت نحو الكاميرا وأخذت شهيقًا عميقًا .. كانت تكافح كى لا تغيب عن الوعى ..

قالت وهى ترتجف :

ـ « كما ترون يا سادة .. يبدو أن الذاهبين إلى (واشنجتون) يختلفون نوعًا عن الطراز الذى اعتدناه .. لكنهم سادة مهذبون برغم كل شىء ..

وإننا لنأمل فى .... »

هنا كادت سيارة رياضية حمراء أن تدهمها من الخلف .. استدارت لترى شابًا يرتدى قميصًا مشجرًا زاهى اللون مفتوح الأزرار حتى أسفل بطنه .. وكان يدخن سيجارًا غليظًا وقد فتح (كاسيت) السيارة على أعلى

صوت ممكن ، لألعن موسيقا (روك) يمكن وصفها .. هنا فقط فهمت لماذا يسمون هذه الموسيقا باسم (المعادن الثقيلة) ..

ـ « وأنت ؟ ذاهب إلى (واشنجتون) أيضًا ؟ »

ـ « نعم يا دمية ! أنا (مجنون) .. ثلاثون مخالفة سرعة .. خمس حوادث قتل بسبب السرعة .. جادثا قتل لرجلى شرطة المرور اللذين نهونى عن السرعة .. »

ـ « ممتاز ! ولماذا (واشنجتون) ؟ »

ـ الحياة تتغير يا دمية .. يقال إن (لوثر) الحاكم العام سيعاقب كل من يقود سيارته بسرعة أقل من مائة ميل فى الساعة ! »

وقبل أن تعلّق كان قد اختفى بسيارته وسط الزحام ..

همست وهى ترمق الكاميرا ..

ـ فليرحمنا اللّه ! إن اللّه وحده هو من سيخلصنا من هذا المأزق ! »

★ ★ ★

دخل (لكس لوثر) البيت الأبيض ، فمشى فى تؤدة إلى المكتب البيضاوى الذى يتخذ فيه الرئيس الأمريكى قراراته ..

كان متأنقًا على غير العادة ، يرتدى بذلة خضراء اللون ، وربطة عنق حمراء ، فوق قميص بنى اللون .. وسرعان ما جلس ليضع قدميه على المكتب فى وجه المراسلين الصحفيين والسفراء ..

هذه المرة لم يكن بحاجة إلى حلف اليمين أمام قاض .. فهو قد أعلنها دكتاتورية مطلقة ، وليس عليه إثبات شيء .

قال للسفراء :

ـ هل تريدون شيئًا يا شباب ؟ »

قال سفير (السويد) فى رصانة :

ـ « إن (البرتوكول) يا سيدى ...... »

ـ « دعنا من هذا الهراء .. »

قالها وبصق طرف سيجار ضخم دَسه بين أسنانه . وفرقع بإصبعين فامتدت يد السكرتير ـ الوحيد الذى بقى بين رجال الرئيس السابق ـ ليشعله له بقداحته .. ثم أردف :

ـ « اذهبوا وقولوا لرؤساء دولكم أن يعلنوا استسلامهم غير المشروط لنظامى العالمى الجديد .. وإلا هو الفيروس من جديد .. ولربما الحرب النووية الشاملة ! »

نظروا له للحظات غير فاهمين .. ثم انسحبوا فى غير نظام ..

كاد المراسلون يلحقون بهم ، لكنه أشار لهم كى يبقوا .. وقال :

ـ « لحظة .. لم تتلقوا تعليماتى بعد .. »

ثم أشار إلى السكرتير كى يتلو من ورقة صغيرة :

ـ « واجب الصحافة الأول هو تمجيد (لوثر) وتبرير أفعاله .. لا يُسمح بأى نوع من الانتقاد تحت طائلة الإعدام .. يجب الإكثار من التفاهات والمواضيع الخليعة كى ينشغل الناس عن التفكير فى أى شيء ذى جدوى .. »

قال أحد المحررين فى عصبية :

ـ « سيدى .. لكن الدستور يقول ... »

ـ « لقد تمّ إلغاء الدستور .. إن صديقى (ماكس) عاكف على إعداد (إعلان لوثر) .. »

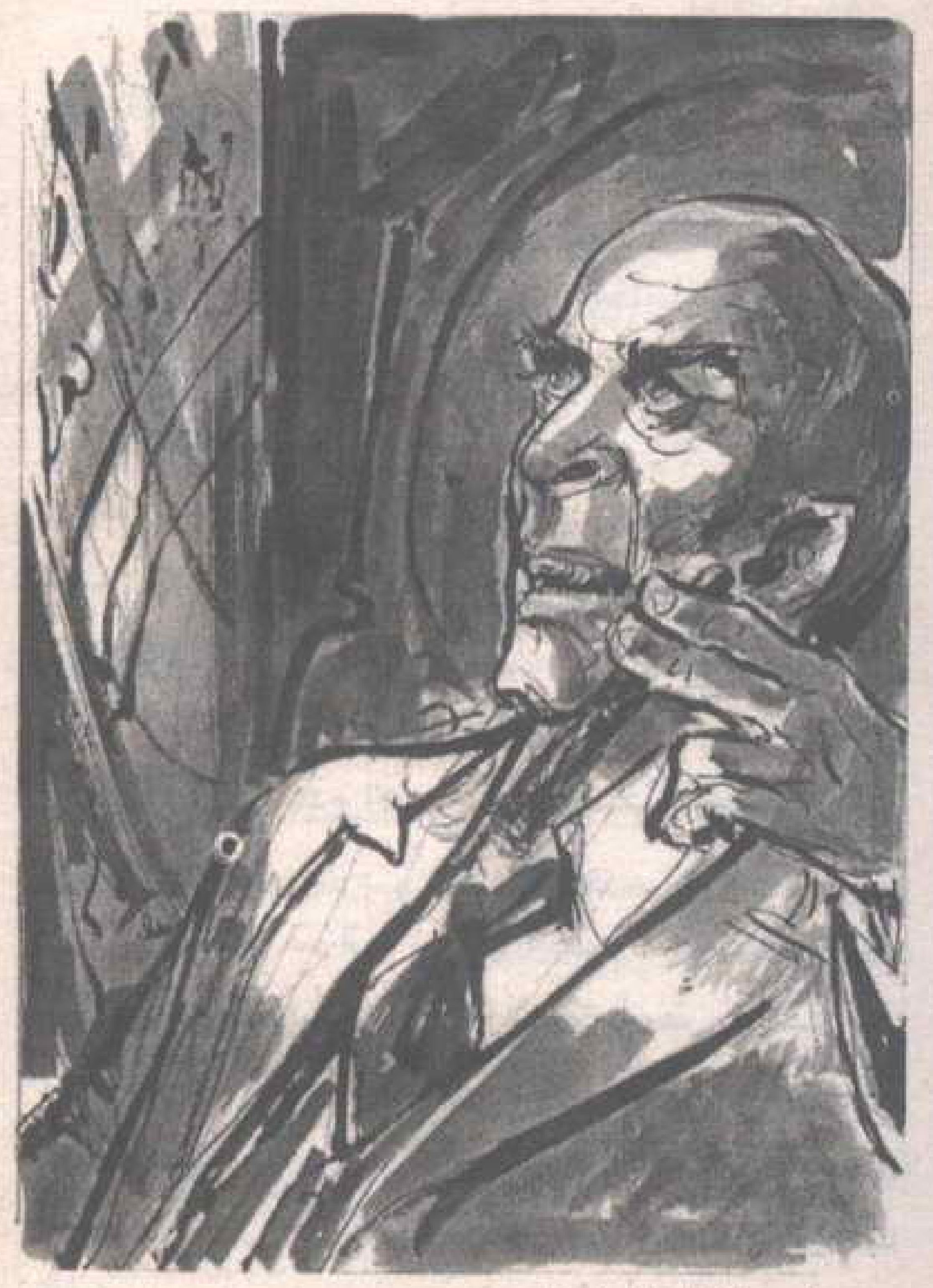
ـ « هل هو خبير فى القانون المدنى ؟ »

ـ « بل هو لصّ .. وقد قضى عشرة أعوام فى السجن يقرأ فى المكتبة .. إنه يعرف كل ما يلزم .. »

ودار بعينيه بين صفوفهم ..

وفجأة توقفت عيناه على وجه .. وجه لم ينسه قط ..
هتف وقد أخرج السيجار من بين أسنانه :
ـ « هووم ! أنت تلك الفتاة من (ديلى بلانت) ! »
ارتجفت (عبير) كورقة .. ونظرت وراءها بحثًا عن فتاة أخرى تصلح لكنها لم تر سواها ..
قالت وهى تحاول أن تبعد عنقها للوراء لتنأى عنه :
ـ « نـ .. نعم .. أنا ... »
ـ « (لارا) هو الاسم على ما أظن ؟ »
ـ « نـ .. نعم .. »
ـ « أنت صديقة (سوبرمان) ؟ »
ـ « نـ .. نعم .. »
ـ « ربّما زوجته كذلك لو امتد به العمر ؟ »
ـ « ر .. ربّما .. »
اتسعت عيناه .. ورأت (عبير) فيهما أسوأ نظرة رقة يمكن وصفها .. رقة الأسد وهو يفتح فاه لينشب أنيابه فى بطن الحمار الوحشى ..
وبنفس الرقة قال لها :
ـ « تعالى .. اجلسى بجوارى ها هنا ! »

★ ★ ★



وبنفس الرقة قال لها :
ـ « تعالى .. اجلسى بجوارى ها هنا ! »

٢ـ ألعاب السُلطة ..

دنت من المكتب العملاق ، فاتخذت مقعدًا مزجر الكلب ـ كما يقول أجدادنا العرب ـ من (لوثر) .. متوقعة الأسوأ فى كل لحظة ..

قال لها وهو ينفث السيجار فى وجهها :

ـ « لاتهابى شيئًا .. سترين كيف يحكم (لوثر) البلاد بعدل .. »

ثم التفت إلى الصحفيين وقال :

ـ « ستكون هذه الآنسة هى المتحدثة الرسمية عن البيت الأبيض ..

وبالمناسبة .. أنا أمقت الجمود .. منذ عهد (جورج واشنجتون) وهذا البيت أبيض كالعادة .. لهذا قررت أن يتم دهانه باللون الأحمر الجميل .. أحمر كالجحيم .. كستائر مصاصى الدماء .. كدماء خصومى .. وستتحدثون عنه باعتباره البيت الأحمر .. »

قال أحد الصحفيين فى تهذيب مداهن :

ـ « لكن ـ سيدى ـ هذا سيوحى للعالم أن حكومتكم ذات ميول شيوعية .. »

ـ « حين أحكم العالم سيكون لون الشيوعية هو الـ (سيمون) .. إنه أنيق ويناسب الموضة .. »

ثم قلب بعض الأوراق أمامه .. وقال :

ـ « آه ! الآن موضوع الوزراء .. دعهم يدخلون يا (جيرى) .. »

وانفتح باب جانبى لتدخل منه أشياء ما .. مجموعة من النفايات الآدمية التى تخلص منها مصنع المجتمع لأنها معيبة ..

كانوا يضحكون ويتبادلون الكلمات والسباب .. وراح أحدهم يرسم على وجهه تعبيرات مخيفة ليلتقطها المصورون بعدساتهم ..

قال (لوثر) وهو يشير إلى أولهم :

ـ « (مجنون) سيكون هو قائد المرور .. إن خبرته فى حوادث السيارات تتيح له هذا المنصب .. »

نظر الشاب إلى الصحفيين متحديًا .. وغمغم :

ـ «سأحدث تغييرات جوهرية فى السرعات المسموح

بها .. إن أربعين ميلاً فى الساعة داخل المدينة لرقم مهين ! »

وأشار (لوثر) إلى الرجل ذى الوجه المحترق ، وقال :

ـ « (قنبلة) هو وزير الدفاع .. إنه يعرف عن المتفجرات ما يعرفه أى وزير دفاع يحترم نفسه .. »

ثم أشار إلى ثالث بدا عليه الارهاق ، واحمَر أنفه سُكرًا ..

ـ « (توماس) هو وزير الصحة .. إنه مدمن مخدرات وسيروق له أن يسيطر على مخزون البلاد من (المورفين) و(البتدين) .. »

وأردف وهو يعقد يديه على صدره :

ـ « (ماكس) هو وزير العدل .. و (هربرت) هو مدير المخابرات .. لقد أفلت من مراقبة الشرطة ثلاث مرات لأنه واسع الحيلة .. ثم إنه سيتعاون مع الجاسوس (سام برادفورد) الذى كان يقضى عقوبة السجن مدى الحياة ، بتهمة تهريب وثائق سرية للسوفييت .. إن (برادفورد) يعرف مكان كل وثيقة لدى المخابرات المركزية .. »

ثم أشار لصدره وهتف :

ـ « هل فهمتم ؟ أنا أحاول استعادة هؤلاء المنبوذين إلى المجتمع كمواطنين صالحين .. إنهم يملكون الموهبة .. الموهبة التى يستغربها المجتمع وينفر منها غير عالم أنها ستفيده حتمًا .. ولقد قال أجدادنا الحكماء صادقين : الأمر يقتضى لصًا للظفر بلص .. »

قالت (عبير) فى غير حماس حيث جلست جواره :

ـ « يقول العرب : لا يفلّ الحديد إلا الحديد .. »

ـ « كما تقولين .. إن ثقافات العالم تتشابه حقًا .. والآن يأتى دور الأمن .. إن الأمن الداخلى سيقع على عاتق (جو القذر) وفريقه الممتاز من نزلاء (سنج سنج) .. سيقوم (جو) بتنظيم كل شىء .. وستنتشر دوريات الفهد .. أ .. الأمن فى أرجاء البلاد لإنهاء حالة الفوضى التى تلت موت (سوبرمان) .. »

صاح (جو القذر) ملوحًا ببندقيته الآلية :

ـ « يا هوووه ! سأفجر رأس من يخالف القانون ! »

فتعالت صيحات الـ (ياهووه) من حفنة الأوباش حوله ..

ثم نظر (لوثر) إلى الصحفيين المرتاعين الواقفين أمامه .. وقال :

ـ « هل ثمة أسئلة ؟ لا ؟ حسن .. اذهبوا يا شباب واكتبوا كل هذا .. ولا تنسوا أن الصحافة هى ضمير الأمة .. وهذا الضمير يجب أن يأتمر بأمرى أنا فحسب .. »

خرج القوم يحبسون خواطرهم الخاصة ، ولا أحد منهم يجرؤ على التصريح بمئات التعليقات المناسبة للموقف ..

لقد بدأ عهد جديد رهيب ..

★ ★ ★

فى غرفة عمليات سرية تحت الأرض :

يقف جنرالات جيش الولايات المتحدة يرمقون فى مقت وانبهار ذلك المجنون الذى صار رئيسهم ..

راح (لوثر) ـ و(عبير) جواره ـ يرمق الخارطة العملاقة المضيئة التى تمثل العالم .. والنقاط الحمراء التى تمثل أماكن الأسطول السوفيتى فى المحيطين الأطلنطى والهادى .. والنقاط الزرقاء التى تمثل مواضع الصواريخ النووية السوفيتية .

ـ « أين القنابل الهيدروجينية ؟ »

أشار الجنرال إلى صف من الأزرار الحمراء ..

ـ « بهذه البساطة ؟ كنت أحسب فى الأمر بطاقات إلكترونية وبصمات صوتية وما إلى ذلك .. »

ـ « إن الحياة تزداد بساطة يا سيدى .. »

حكّ (لوثر) صلعته مفكرًا .. ثم قال :

ـ ما رأيك يا (قنبلة) ؟ »

ابتسم جانب الوجه السليم لدى (قنبلة) .. أما الجانب المحروق فتقلّص بشكل بشع تعبيرًا عن استحسان الفكرة ، وقال :

ـ « إن (كلاباتى) تأكلنى يا سيدى الحاكم العسكرى .. »

ـ « إذن ـ جنرال (قادر) ـ فجّر لنا قنبلة هيدروجينية .. ولكن .. اجعلها اثنتين .. »

سأله الجنرال فى أدب كأنه (بارمان) راق أو ساق فى كافتريا :

ـ « ليكن يا سيدى .. ولكن أين ؟ »

ـ « أين ؟ ليكن ذلك فى (هيروشيما) و(نجازاكى) .. »

ـ « لكننا فجرناهما يا سيدى فى الحرب الأخيرة .. »

ـ « كانتا قنبلتين نوويتين .. دعهم يجربوا

الهيدروجينية على سبيل التجديد .. هذا سيجعل المقارنة سهلة بغرض الإحصاء العلمى .. »

ـ « لكن هذا يا سيدى سيجعل الحرب العالمية الثالثة حتمية .. »

ـ أوه لا .. لن يحدث .. إن الروس لن يدعوها من أجل اليابان .. سيحتجون ويدينون ويشجبون .. لا أكثر .. »

ثم أشار إلى (قنبلة) فى حزم .. وقال بلهجة لا تقبل النقاش :

ـ « جنرال (قنبلة) .. نفّذ أوامر الحاكم العام .. »

ضغط قنبلة على أول زرّين وجدهما على يمينه ... فدوّى صوت الحاسب الآلى يقول برتابة :

ـ « تم إطلاق صاروخين برأسين نوويين على (ستوكهولم) و(أديس أبابا) ! »

صاح الجنرال وهو يوشك على الجنون :

ـ « كنت أفضل أن نختار هدفين سوفييتيين ! »

ـ « إن الفرص كثيرة يا جنرال .. كثيرة جدًّا ! »

ومرت دقائق ثم ظهرت بقعتان حمراوان على الشاشة فى مكان العاصمتين المذكورتين .. وعاد الصوت الآلى البارد كالموت يقول :

ـ « (ستوكهولم) نسبة ٨٠ ٪ تدمير .. (أديس أبابا) إبادة تامة .. »

ـ « هذا جيد ! »

ـ « يا هوووووه ! »

تأبط (لوثر) ذراع (عبير) التى كانت ترتجف فرقًا واشمئزازًا .. وقال لها وهو يمسح العرق عن جبينه :

ـ « معذرة يا ملاكى .. هذا هو قدر المرأة التى تصادق رجلاً مشغولاً مثلى غارقًا فى أعباء الحكم .. إننى لا أجد وقتًا كافيًا لأتنفس ! »

ثم اقتادها خارجين من الغرفة ، ولم ينس أن يلتفت إلى الوراء ليقول لـ (قنبلة) :

ـ « أنا راض عن أدائكم يا جنرال .. أريد مناورات مستمَرة لحلف شمال الأطلنطى .. كما أريد أن أقدم للجيش بعض القنابل الجديدة من ابتكارى ، مثل قنبلة (إبسلون) التى تصيب بالعمى والصمم لكنها لا تقتل .. »

★ ★ ★

ـ « ذئب مجنون .. هذا أنت .. »

ـ قالتها له فى مقت ، فبدا عليه الانتشاء وعاد يسألها :

- « هل هذا كل شىء ؟ »

- « ومريض اجتماعيًا .. »

- « آه .. (سايكوباث) .. هذا هو المصطلح الذى تريدين قوله .. ليس فى هذا جديد يا ملاكى .. فأنا أعرف هذا جيدًا .. والحلم الأعظم الذى أحتفظ به للعالم هو كتلة من النيران ، ونساء صارخات ، ورجال جرحى يتوسلون من أجل حياتهم .. »

- « إن الناس جميعًا يمقتونك .. »

- « هذا حق .. لكنهم يحترموننى كذلك .. إن قوة المرء تُقاس بعدد أعدائه .. ولكن دعينا من هذا الهراء ولنتكلم فيما هو أهم .. »

كانت تخشى ذلك ..

فهو لم يأت بها إلى شرفة البيت الأبيض الذى سيصير أحمر ، فى الظلام ورائحة الورود التى زرعتها السيدة الأولى سابقًا فى الحديقة ، بينما يقف عازف كمان زنجى تحت الشرفة يصدر ألحانًا شجيَّة .. هو لم يفعل كل هذا ليحدثها عن (الشخصية السايكوباثية) ..

قال لها وهو يشعل سيجاره :

- « هل تعلمين ما هو أهم ؟ »

- « نعم .. أراهن على أنك تهيم بى حبًا ! »

توقف لحظة .. وراح يرمقها دون أن يطفئ عود الثقاب حتى أحرق أنامله ، فرماه متأوهًا وقال :

- « حسن .. لن أقول إننى أهيم بك .. لنقل للدقة - إننى أميل إليك نوعًا .. منذ أن رأيت صورتك وعرفت أنك حبيبة (سوبرمان) .. لنقل إنه ميل قديم فى نفسى تجاه من تحمل هذه الملامح .. إن (فرويد) يقول إن الحب من أول نظرة هو ذكرى ملامح ما عرفتها فى طفولتى .. ربما قريبة لى أو خادمة كانت تعنى بى .. »

- « شكرًا لأننى ذكرتك بخادمة .. »

- « دعينا من هذا الهراء .. أنا لا أجيد التعبير عن نفسى .. لكن كل فتاة تعرف جيدًا ما أتحدث عنه ، ما لم تكن رجلاً يضع جُمَّة على رأسه .. والآن ما رأيك ؟ »

فى تحد نظرت له وثبتت عينيها ، وتساءلت :

- « فى أى شىء ؟ أنا لم أتلق عرضًا حتى اللحظة .. »

- « فى أن تكونى السيدة الأولى لهذا البلد ! »

كانت ـ لحسن الحظ ـ قد أعدت ردًا مطولاً هو أقرب إلى (الردح) ، كما كانت تسمعه من الجارات فى حارتها .. ولو لم تعدّه مسبقًا لارتجّ عليها وما وجدت ما تقوله .. وقد أسمعته هذا الرّد كاملاً غير منقوص ، وبأداء بارع حقًا .. وانتهت كلامها قائلة :

ـ « أنت ـ أيها البائس ـ لا تحبّنى ولا تعرف كيف .. كل ما فى الأمر أن طبيعتك المريضة تتوق إلى إيذاء (سوبرمان) فى حبيبته حتى بعد ما مات . ودعنى ـ يا أحمق ـ أؤكد لك أن الموت خير لى من قبول توددك الكريه .. وإننى حين أقارنك بـ (سوبرمان) لا أجد تعبيرًا أفضل من (الأنصاص قامت والقوالب نامت) .. فهل أبلغت ؟ إذن فافعل ما يتبدى لعقلك المريض .. »

أربكه أداؤها البارع .. ثم إنه أرجع رأسه للوراء وراح يقهقه تلك القهقهة المجلجلة المفتعلة التى يجيدها الأشرار فى التلفزيون .. كان يدارى ارتباكه حتمًا .. ثم قال لها :

ـ « ها ها ها ! كلا يا صغيرتى .. لن أربطك بالسلاسل وأنزع أظفارك كى أرغمك على أن تحبينى ..

إن الحب شىء يأتى بالتعوّد والمعاشرة .. لهذا سأرغمك على شىء واحد : على أن تكونى المتحدثة الرسمية لى .. وبعد عام سآتى بك ها هنا لأقدم نفس العرض .. وأعتقد أن الإجابة ستختلف .. »

ـ سأهرب ! »

ـ « لا تستطيع ذبابة الهرب من القارة كلها دون علمى .. لا تنسى أن جهاز الاستخبارات ومكتب التحريات والشرطة كلها تحت إمرتى .. ثم إننى لا أحب كثيرًا أن أرى (جو القذر) ورجاله يبحثون عنك .. هذا يشبه أن ترسل قطيع ذئاب للبحث عن دجاجة ضاعت منك ! »

نهضتْ .. وفى هذه اللحظة كانت قد قررت قرارًا لا رجعة فيه :

ستقتله .. حتمًا ستقتله ..

* * *

ولكن كيف ؟

* * *

٣ - احتلال العالم ..

فى الأيام التالية ، اهتزّ العالم لأنباء تدمير (ساوباولو) البائسة .. لتغدو المدينة الثالثة بعد (ستوكهولم) و(أديس أبابا) فى الألعاب النووية ..

وكما توقع (لوثر) فإن (موسكو) ظلت عاجزة عن الفعل ، مترددة نحو ما ينبغى عمله .. فإن تحركها للفعل الإيجابى لا يعنى سوى إطلاق صواريخها النووية على الولايات المتحدة ، وعندئذ هى الحرب العالمية الثالثة .. ومخزون الدولتين من السلاح النووى يكفى لتدمير العالم سبعين مرة .. مشكلة السلاح النووى هى أنه يقيد يد صاحبه أكثر من اللازم ، كرجل يجلس فوق صندوق (ديناميت) ويتحمل صفعات الأطفال الشرسين على قفاه ، والحجارة التى يرمونها عليه .. لكنه لا يجرؤ على تفجير (الديناميت) الذى يجلس فوقه ... لذا يكتفى بالتهديد والجعجعة .. وحقًا كان هناك الكثير من الجعجعة ..

ودعت (بريطانيا) إلى مؤتمر حضرته القوى العظمى كلها ... كما أن أعضاء الأمم المتحدة الذين طردهم (لوثر) من الولايات المتحدة لحقوا بالمؤتمر ..

لكن المؤتمر لم يسفر سوى عن الشجب والإدانة واللوم .. وفيما بعد قال أحد الأشخاص المهمين فى السلك الدبلوماسى الأوروبى :

- « كان موقفنا أشبه بموقف أوروبا فى الحرب العالمية الثانية .. لا أحد يعرف ما ينبغى عمله .. كلنا نتجه إلى كارثة ، لكننا لا ندرى كيف نوقفها .. إن المدارس السياسية كلها لم تقدم لنا أسلوب التعامل الأمثل مع المجانين .. »

وزاد الطين بلّة ظهور (لوثر) على شاشات التلفزيون فى أرجاء الأرض ..

كان بيانه واضحًا وموجهًا لمؤتمر القوى العظمى :

- « كيف حالكم أيها الحمقى ؟ »

« أراكم تأخرتم كثيرًا فى إعلان الاستسلام والاعتراف بى حاكمًا أوحد للعالم .. ولا أدرى كم قنبلة هيدروجينية تحتاجون إليها كى تصدقونى ؟ »

« إننى بحاجة إلى إنهاء إجراءات الاستسلام خلال

ثلاثة أيام ، بعدها تُحرق كل عاصمة متمردة ، أو تتآكل بفيروسى المتميز ..

« وإننى لأهيب بالسادة المؤتمرين المتآمرين فى (لندن) أن ينهوا اجتماعهم خلال ساعتين ، ويعودوا ليلتهموا الفطائر التى تخبزها أمهاتهم ، وإلا فإننى سأحرق (لندن) خلال ثلاث ساعات .. صحيح أننى أحب متحف مدام (توسو) لكن ليس إلى حدّ منعى من تدميره .. »

وتلاشت صورته من على الشاشة ..

وكان هذا كافيًا كى يجمع رؤساء الدول أوراقهم ، وهم يسبّون (لوثر) بالإنجليزية والفرنسية والصينية والروسية ، ويركبون طائراتهم فورًا عائدين إلى بلادهم ..

إن (لوثر) ـ بالتأكيد ـ ليس ممن يطلقون التهديدات جزافًا ..

وخلال أسبوع واحد كانت أكثر دول العالم قد أعلنت الاستسلام لـ (لوثر) .. صحيح أن هذا لم يتم قبل تدمير (مونتريال) و(أثينا) ، وإلقاء قنبلة فيروسية على مواقع الصواريخ الروسية قرب (تركيا) مما جعلها تتحول إلى غبار ..

وفى النهاية جاء وفد إلى (لوثر) يعلن القبول بشروطه حقنًا لدماء الشعوب ..

* * *

ووقفت (عبير) أمام عدسات الكاميرا تبتلع ريقها الجافّ .. وتحاول أن تقول شيئًا .. فقط لو قالت كلمتين لتلاشت تلك الرجفة فى زاوية فمها اليسرى ..

أخيرًا تقدم صحفى من مكبر الصوت .. وسألها بطريقة رسمية :

ـ « (جون كويمان) من (هيرالد تريبيون) .. »

والتمعت عشرات من أضواء الفلاش عليها .. على حين أردف :

ـ « مس (هارفى) .. يقولون إن إجراءات إعلان العالم منطقة عسكرية قد تمت .. هل هذا صحيح ؟ »

كان هذا هو ما تريده .. لذا قالت إجابتها السهلة :

ـ « نعم .. هذا صحيح .. »

وأخيرًا زالت الرجفة ، وبدأ صوتها يتحسن .. على حين عاد (كويمان) يسألها :

ـ « وهل هذا لفترة محدودة ؟ »

ـ « بل هو للأبد .. إن الكرة الأرضية كلها تحت

الحكم العسكرى ، تحت قيادة الحاكم (لكس لوثر) .. »

هنا دوى صوت طلقة رصاص ، وصرخ (جو القذر) ملوحًا بمسدسه :

- « تصفيق حادّ يا حمقى ! »

دَوى صوت التصفيق الآلى .. فالجميع رأى ما حدث لمراسل (سى إن إن) منذ عشر دقائق ..

ونهض صحفى آخر يسألها :

- « مس (هارفى) .. ما معنى هذا القرار ؟ »

- « معناه أن مستر (لوثر) قد ألغى سفارات الدول وأسماءها وأعلامها .. لقد تحوّل العالم إلى ولاية (إفريقيا) وولاية (آسيا) وولاية (أوروبا) وولاية (أمريكا الجنوبية) .. مع بعض الجزر و (الأقيانوسية) طبعًا .. ولكل ولاية حاكم عام يخضع لمستر (لوثر) .. »

- « وهل هناك انتخابات ؟ »

- « لا انتخابات .. مستر (لوثر) يعرف صالح الشعوب جيدًا .. »

- « وهل هناك جيوش ؟ »

- « لا جيوش .. لقد صار العالم قرية واحدة ولا توجد قرى أخرى نخافها .. ولقد تحولت الجيوش

إلى قوات شرطة تعمل تحت إمرة سيد مهذب هو المستر (جو القذر) .. »

- « وهل ستكون هناك قوميات وأعلام ؟ »

- ابتسمت لسذاجته وقالت :

- « هناك علم واحد يحمل صورة مستر (لوثر) .. وقد تم توزيع صورته على وفود الدول .. أما القوميات فقد تم إلغاؤها .. وقد قام شاعرنا العظيم (ماكس) بتأليف نشيد قومى للكرة الأرضية كلها تقول كلماته :

(لوثر) هو الذى علمنا كيف نكون بشرًا ..

(لوثر) هو الذى حررنا من القوميات ..

اترك التفكير يا صديقى واتبعنى ..

إن (لوثر) سيفكر بدلاً منى ومنك .. »

- نهض صحفى متحمس وقال فى حنق :

- « لكن هذا يعنى نظامًا شموليًا قمعيًا .. ويعنى إضاعةَ كل ما حققته الديموقراطية .. و ...... »

بوم !

كانت هذه هى الإجابة ..

وما إن زال دخان البارود ، وكفّ صدى الطلقة عن

الدوى فى الآذان ، وكفت النسوة عن الصراخ ، حتى دخل الغرفة رجلان بمحفة فحملا جثمان الصحفى وخرجا ...

استجمعت (عبير) أنفاسها .. وبصوت مبحوح قالت :

ـ « أنا مكلفة بإبلاغكم .. لا أكثر ولا أقل .. أما من يريد جدالاً فعليه أن يكلم المستر (لوثر) نفسه ، وأنا أراهن ـ من كل ما نراه ـ على أنه سيدى تفهمًا واضحًا .. »

وانتهى المؤتمر الصحفى الواجم ..

لو كان هذا فى بلد واحد لهاجر الناس جميعًا لاجئين سياسيين إلى أرض الله .. أما والحال كهذا فإلى أين يهاجرون ؟ إلى الفضاء ؟

الخلاصة : أن حوادث الانتحار ازدادت بشكل غير مسبوق ..

لقد قرر البعض الهجرة إلى عالم آخر .. عالم بلا (لكس لوثر) ..

★ ★ ★

دخلت جريدة (ديلى بلانت) كدأبها متوقعة أن تلقى استقبالاً حارًا من رفاقها القدامى ..

لكنها ـ فى العيون ـ لم تر إلا المداهنة أو المقت الأخرس أو الخوف .. وهرع رئيس التحرير الطاغية يلقاها وقد حنى ظهره تبجيلاً ، وعرق الرهبة يغرق وجهه ..

قال لها وهو يمشى بين يديها :

ـ « أرجو يا آنستى أن نكون عند حسن ظن الحاكم .. »

ـ « لم تتكلم بهذا الأسلوب ؟ »

قال وهو يطفئ سيجاره احترامًا لها :

ـ « أعنى أن قدومك ها هنا للتفتيش بالتأكيد ؟ »

تمالكت أعصابها .. وأخذت شهيقًا عميقًا ثم قالت :

ـ « اسمع يا سيدى .. أنا لم أتغير .. ما زلت المحررة التى تعمل تحت قيادتك .. كل ما هناك أننى فى وضع لم أختره .. »

ـ « ولكن كونك .... »

هنا تدخل المحرر الشاب ذو النمش ، وقال وهو يرمقها بمقت واضح :

ـ « لا تفتح قلبك يا سيدى .. فكل حرف ستقوله سيعرفه الحاكم ! »

هذه هى مشكلة التعاون مع الأعداء .. لا أحد يقبل أعذارًا أو يفترض للحظة أنك مُرغم مُكره خائف ..

والحقيقة أنها لم تكن واثقة بنفسها إلى هذا الحدّ .. من أدراها أن (لوثر) لم يلغَم ثيابها بأجهزة التصنت ؟ ربّما هى ـ بالفعل ـ كارثة تمشى على قدمين ..

تنهدت .. وقالت :

ـ « أين البروفسور (هاكل هان) ؟ »

والبروفسور ـ لمن لا يعلم ـ هو أهم مصدر علمى للجريدة .. وهو عالم مجنون أصلع الرأس من الذين تزخر بهم القصص المصورة .. لكنه ـ على الأقل ـ طيب القلب لا يؤذى ذبابة ...

هتف المدير فى حماس :

ـ « حالاً .. حالاً .. هلموا يا شباب .. استدعوا البروفسور ! »

بعد هنيهة جاءها المذكور يرتجف ، يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً .. فما إن رأته حتى قالت بلهجة آمرة لا بأس بها :

ـ « أريد أن أنفرد به .. »

صاح المدير :

ـ « ليكن ذلك فى مكتبى .. »

ـ « بل فى معمله .. »

ودون كلمة أخرى تأبطت ذراع البروفسور المذعور .. ومشت معه إلى معمله الذى يقع فى الطابق ذاته ..

فما إن دخلا حتى أغلقت الباب .. وسألت الرجل :

ـ « بروفسور .. كنت أريد أن أعرف آخر أبحاثك بصدد إعادة الشباب .. إن هذه التجاعيد ...... »

نظر لها فى ذهول .. لكنها كانت تثرثر دون انقطاع وهى تفتح حقيبتها .. تخرج منها قلمًا وورقة .. تخط على الورقة بضعة أسطر ثم ترفعها تحت أنفه ، وتواصل الكلام :

ـ « إن الفتاة منا تفقد كل شىء حين تفقد جمالها .. »

ـ ثبّت العوينات على أنفه ليرى أوضح .. وقرأ الكلمات المكتوبة :

ـ « تكلم فى أى شىء وكن طبيعيًا ..

« أعتقد أننى ـ فى الغالب ـ أحمل جهاز تصنّت .. لا تخش شيئًا ..

أريد التأكد من وجود جهاز كهذا من عدمه ..

« فهل هذا ممكن ؟! »

.....

* * *



كانت تثرثر دون انقطاع وهى تفتح حقيبتها ..
تخرج منها قلمًا وورقة .. تخط على الورقة بضعة أسطر ..

٤ـ مطلوب (سوبرمان)

ـ « للأسف يا (لارا) إن الخلايا التى تموت لا تعود لما كانت عليه أبدًا .. كل ما يقال غير هذا هراء .. »

كان يتكلم وهو يمرّر على جسدها جهازًا إلكترونيًا يتصل بسلك .. ورأت (عبير) (لارا) الضوء الأحمر يتوهج من الجهاز .. فنظرت له نظرة معناها : (هل كان ظنىّ صادقًا ؟) فنظر لها نظرة معناها : (نعم .. إنك ذكية حقًا !) .. ثم أشار إلى حذائها ..

قالت وهى تأخذ شهيقًا عميقًا كى لا تفقد الوعى :

ـ « يا للأسف .. ظننت أننى سأتخلص من تلكم التجاعيد اللعينة .. لكن يبدو أن علىّ أن أقنع بها .. »

ثم أمسكت بالقلم وخطت على الورق التالى :

ـ « لن أتخلص من الجهاز كى لا أثير شكوكهم .. إننى بحاجة إلى اصطحابك إلى القطب الشمالى .. أريد أن استعين بك لتشغيل مجموعة (الروبوت) التى كان (سوبرمان) يحتفظ بها فى قلعته ..

سنحاول إقناع هذه العصابة أن (سوبرمان) عاد إلى الحياة .. »

صاح فى رعب :

ـ « ولكنها رحلة طويلة ! »

ثم تمالك لسانه .. فأضاف :

ـ « .. تلك التى يحتاج إليها جمالك كى يشيخ .. »

ثم ـ بأذنين محمرتين خجلاً ـ خط على الورق :

ـ « إن القطب الشمالى ليس قرية مجاورة .. والوصول هناك عسير حقًا .. ثم إذا فرضنا أننا وصلنا هناك ـ وهو ما أراه مستحيلاً ـ فإننى أشك فى قدرتى على تشغيل هذه الأجهزة ، التى هى بالتأكيد معقدة جدًا .. »

ـ ظلت صامتة بعض الوقت ، ثم تناولت القلم وخطت على الورق الكلمات التالية :

ـ « سأجد حلاً لهذا ..

« حاول أن تبقى على اتصال بى .. »

ثم إنها اتجهت إلى موقد (بنزن) المشتعل فوق المنضدة ، فقربت الورق منه حتى التهب بالنار وألقته فى الحوض ..

ـ « شكرًا يا بروفسور .. إلى لقاء .. »

★ ★ ★

كانت بحاجة إلى تكوين مجموعة ممن تثق بهم .. من ذوى الميول المشتركة .. ثم يعاونونها فى القضاء على (لوثر) ..

إنها تمقته حقًا .. تمقته إلى تلك الدرجة المقدسة : إنها لا تبالى بفقد حياتها ما دام هذا سيحررها منه .. وهى تلك الدرجة من المقت التى شعر بها كل شهداء التاريخ وهم يلقون بأنفسهم فوق المدافع .. فوق نصال السيوف .. فوق النيران ..

النصر أو الموت الكريم ..

هذا هو شعارها .. وعليها أن تجد من يعتنقه مثلها .. لكن من يمكن أن يثق بها ؟ من ؟

★ ★ ★

كانت جالسة فى جناحها تشاهد التلفزيون ، حين دخل (لوثر) دون استئذان كعادته ، وقد دسَّ يديه فى جيبى (الروب) الأحمر الذى يرتديه ، والذى يشعر أنه يجعله فاتنًا ..

استرخى على أريكة .. وأراح ساقيه على مسند أمامه .. وقال :

ـ « كيف كان يومك ؟ »

ـ « لا شىء .. ذهبت إلى (ديلى بلانت) .. »

ـ « وكيف حالهم هناك ؟ »

ـ « يرسلون تحياتهم ! »

نظر لها مليًا .. وتنهد ثم قال :

ـ « ما زلت لا أشعر أن فى وجهك تجاعيد ! »

إذن هو يفصح عن تصنته عليها !

هذا غريب .. المفترض أن يتكتم هذا .. معنى هذا أنه لم يجد النفع المرجو من مراقبته لها ..

قالت متظاهرة بالغباء :

ـ « إذن أنت قابلت البروفسور .. »

ـ « ليس بالضرورة .. إننى أعرف كل شىء من مكانى هنا .. »

ثم شاعت فى محياه القبيح بسمة حزينة .. وأرجع رأسه للوراء .. وقال ضاغطًا على حروفه :

ـ « إذن أنت تعبثين فى الجوار يا (لارا) .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ »

لم يبدل من جلسته ، وقال :

ـ « هل تعرفين مكان قلعة (سوبرمان) هذه ؟ »

ـ نظرت له فى ذهول .. إذن قد تكلم البروفسور .. لا شك فى هذا ..

هتفت من بين أسنانها :

ـ « (ها كل هان) القذر ! »

ـ « لا تسبيه يا (لارا) من فضلك .. إن المسكين يمرّ الآن بلحظات غير سارة على الاطلاق فى مكتب الاستخبارات الفيدرالى .. صدقينى .. فأنا قد أعدت أساليب (الجستابو) الشنيعة فى التعذيب .. وليس المشهد جميلاً بحالٍ .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ »

ابتسم من جديد ، ولم يبادلها النظرات .. قال :

ـ « إن رجالى الذين قاموا بتفريغ جلسة التصنت لاحظوا صوت (خرفشة) الورق .. وهم ـ بآذانهم المدربة ـ يعرفون جيدًا معنى هذا .. معناه أن الحوار وهمى بينما الحوار المهم يجرى على الورق ..

« وهنا يجىء دور القلم الذى وضعته فى حقيبتك .. إننا نسميه (القلم النمام) وهو من أفضل اختراعاتى ..

« بمجرد انتهاء الجلسة قمت بالحصول على القلم .. وتفريغ ذاكرته من الاهتزازات العالقة بها ..

ثم بمعونة الحاسب الآلى نحصل على صورة كاملة من كل ما قمت بكتابته على مدى يوم كامل !

« إن هذا سهل وليس مستحيلاً كما ترين .. ومن حسن الحظ أن هذا القلم هو ما كتبت به رسالتك ، وإلا لصار من المستحيل أن أعرف .. »

اتسعت عيناها هلعًا .. لقد انتهى أمرها بالتأكيد ..

لكنه قال لها وفى عينيه رفق قاتل :

ـ « لاتخافى .. لن أنتزع أظفارك وأربطك بالسلاسل عقابًا لك على التآمر .. إننى أقوى من هذا .. فقط أردت أن أجعلك تعرفين أنك ذبابة فى شباك عنكبوت هائل أصلع ! »

ـ « عليك اللعنة ! »

كان الوغد ذكيًا بالتأكيد .. ذكيًا كالثعالب وأكثر منها حذرًا .. لكنها ـ حتمًا ـ ستعرف كيف تسحقه ...

★ ★ ★

فى الظلام تسللوا ....

(سنترال بارك) تتحول إلى وكر للرذائل والآثام والموبقات والجرائم كلما حان الليل .. كان هذا هو حالها حينما كان (سوبرمان) حيًا .. وكان الرجل

الفولاذى ينقض كالصاعقة من السماء على الخاطئين ، فيحملهم بسرعة الصاعقة إلى الشرطة ..

الغريب أنه بعد ما مات (سوبرمان) ـ لم يغد لـ (سنترال بارك) ذات البريق القديم المثير .. فتحت حكم (لوثر) وعصابة المجرمين والقتلة التى تمثل سلطته التشريعية ؛ صارت الجريمة هى القانون والقتل هو القاعدة .. وبالتالى غدا على من يحب مخالفة القانون أن يصير شريفًا !

بمعنى آخر : إن الممنوع مرغوب دائمًا .. وقد صارت الجريمة حقًا للجميع .. وبالتالى قل من يرغبون فيها .. ويمكن القول ـ دون خطأ كبير ـ أن حكم (لوثر) كان كارثة على الشرفاء والمجرمين معًا .. فقد الأولون معنى الأمان وفقد الأخيرون لذة المخالفة ..

أقول إنهم فى الظلام تسللوا ..

من هم ؟ لا أدرى .. إن الظلام دامس كما ترون .. والحراس حمقى .. خاصة حين يطول بهم السهر ويدغدغ الأمان الزائف أعصابهم داعيًا إياهم إلى النعاس ....

ولم تطل المأساة ..

ثلاث طعنات فى العنق كانت كافية ليعمَ السلام المكان .. ويصعد أحد المتسللين فوق السارية التى علق منها جسد (سوبرمان) .. الجسد العملاق المتدلى من قدميه كما كانوا يفعلون فى المذابح القديمة .. وبشىء من الجهد ينجحون فى فك الجنازير المربوطة بالقدمين .. ويسقط الجسد على الأرض محدثًا دويًا ...

سيارة مظلمة الأضواء تدنو من المكان وتتوقف بفرملة عنيفة باسلة ..

الرجال يحملون الجسد الثقيل ـ كتلة العضلات ـ التى كانت ـ نحو السيارة ، ويحشرون أنفسهم بأية كيفية داخلها ...

فرملة ثانية لا داعى لها .. ثم تنطلق السيارة مبتعدة ..

★ ★ ★

٥ ـ محاولة جريئة حقًا

جلست تتأمل الغرفة كئيبة المنظر التى جلست فيها .. كانت الجدران عارية تمامًا ، وثمة باب صغير يفضى إلى قاعة مجاورة لا يعلم سوى اللّه ما يوجد فيها ..

ورفعت رأسها ترمق الأربعة المحيطين بها .. كلهم استطالت لحاهم وبدت الخطورة فى نظراتهم .. باختصار بدوا كالذئاب الحذرة المرهقة .. وكانت (عبير) تعرف أن المجرمين لهم نظرات الذئاب ، لكن الثوار لهم كذلك نظرات الذئاب ، خاصة إذا ما كانوا يواجهون خطرًا مريعًا ..

قال لها أولهم وأكبرهم شأنًا :

ـ « لا تقلقى .. لم نختطفك إلا من رقابة (لوثر) الصارمة .. كان لا بد أن نلجأ لهذا الأسلوب غير التقليدى .. سيارة تمرّ بجوارك ثم يخرج (توم) و(جيرى) ويلقيان بك فى المقعد الخلفى .. »

وقال آخر يضع عوينات سميكة :

- « إننا نمثل جزءًا من جبهة الثائرين ضد (لوثر) .. »

وقال ثالث له شعر بنى أشعث طويل جدًا :

- « وقد اتفقنا على أن (لوثغ) أقوى منا بكثيغ .. لا يمكن مواجته دون (سوبغمان) .. »

ابتسمت فى لطف وسألته :

- « هل أنت فرنسى ؟ »

- « نعم .. اسمى الحغكى هو (تان تان) .. أقول أن (سوبغمان) هو السبيل الأوحد لمواجهة (لوثغ) الذى قهغ العالم .. »

قال الأول كبير الشأن :

- « لهذا أتينا بك هنا لأننا نعرف أنك تعرفين كل شىء عن (سوبرمان) .. »

قالت وهى تدفن فى كفيها وجهها :

- « أنتم مجموعة من الحمقى .. »

- « ربما .. ولكن لِمَ ؟ »

- « إن كل ما أفعله وأقوله معروف لدى (لوثر) .. إننى ملغمة بأجهزة التصنت .. ولن تمر خمس دقائق حتى يكون رجال (جو القذر) هنا كى يتولوا تحويلكم إلى (كفتة) .. »

قال لها ذو العوينات الغليظة :

- « لا تقلقى من هذا .. فقد قمنا بتلغيمك بجهاز يُدعى (الكتوم) .. وهو يحجب كل إرسال لأجهزة التصنت فى دائرتك .. »

- « (لوثر) لن ينخدع بهذا .. إنه ذكى كالثعالب .. وتوقف الإرسال هو رسالة واضحة جدًا لها خطرها .. سيعرف أننى أتلاعب به .. »

- « هناك جهاز آخر اسمه (الكاذب) تحمله فى السوق الآن فتاة تشبهك وترتدى ثيابك .. وبالطبع هى قادرة على إقناع من يراها بأنها أنتِ .. بل إنها ترسل نفس الذبذبات .. »

هزّت رأسها مستكثرة كل هذا السخف :

- « (نمّام) - (كاذب) - (كتوم) .. إننى محاطة بأجهزة غريبة حقًا .. وكيف عرفتم تردّد ذبذبات (لوثر) ؟ »

- « هذا سرّنا الخاص .. إن لنا مصادرنا .. و(لوثر) ليس هو العالم الوحيد على وجه الأرض .. »

نظرت لهم باسمة وسألت :

- « حسن يا شباب .. هل لى أن أتعرفكم ؟ »

قال أكبرهم شأنًا :

ـ « هذا شرف لنا .. لكننا لا نستعمل سوى أسماء حركية .. أنا (كنج كونج) زعيم هذه المجموعة .. وهذا الذى يرتدى العوينات هو (توم) .. إنه ذكى كالقط ، ويعتبر هو العالم لهذه المجموعة .. أما الآخر ضئيل الجسد فيشبه الفأر (جيرى) .. ثم أنت قد عرفت الفرنسى (تان تان) .. »

ضحكت فى مرارة .. وسألت :

ـ « وأين (ميكى) ؟ »

ـ « لقد قتله رجال (جو القذر) منذ شهرين .. لقد كان من خيرة رجالنا ، ولم يتكلم حتى وهم ينزعون أظفاره .. »

ـ « يا للهول ! إن أظفارًا أكثر من اللازم تُنتزع هذه الأيام .. »

ثم رفعت عينيها إلى كبيرهم متسائلة :

ـ « والآن .. ماذا تريدون منى بالضبط ؟ »

★ ★ ★

ـ « أنت ترين هذه الآلة وتتساءلين عن كنهها .. ليس فى الأمر لغز ما .. إن روايات الخيال العلمى

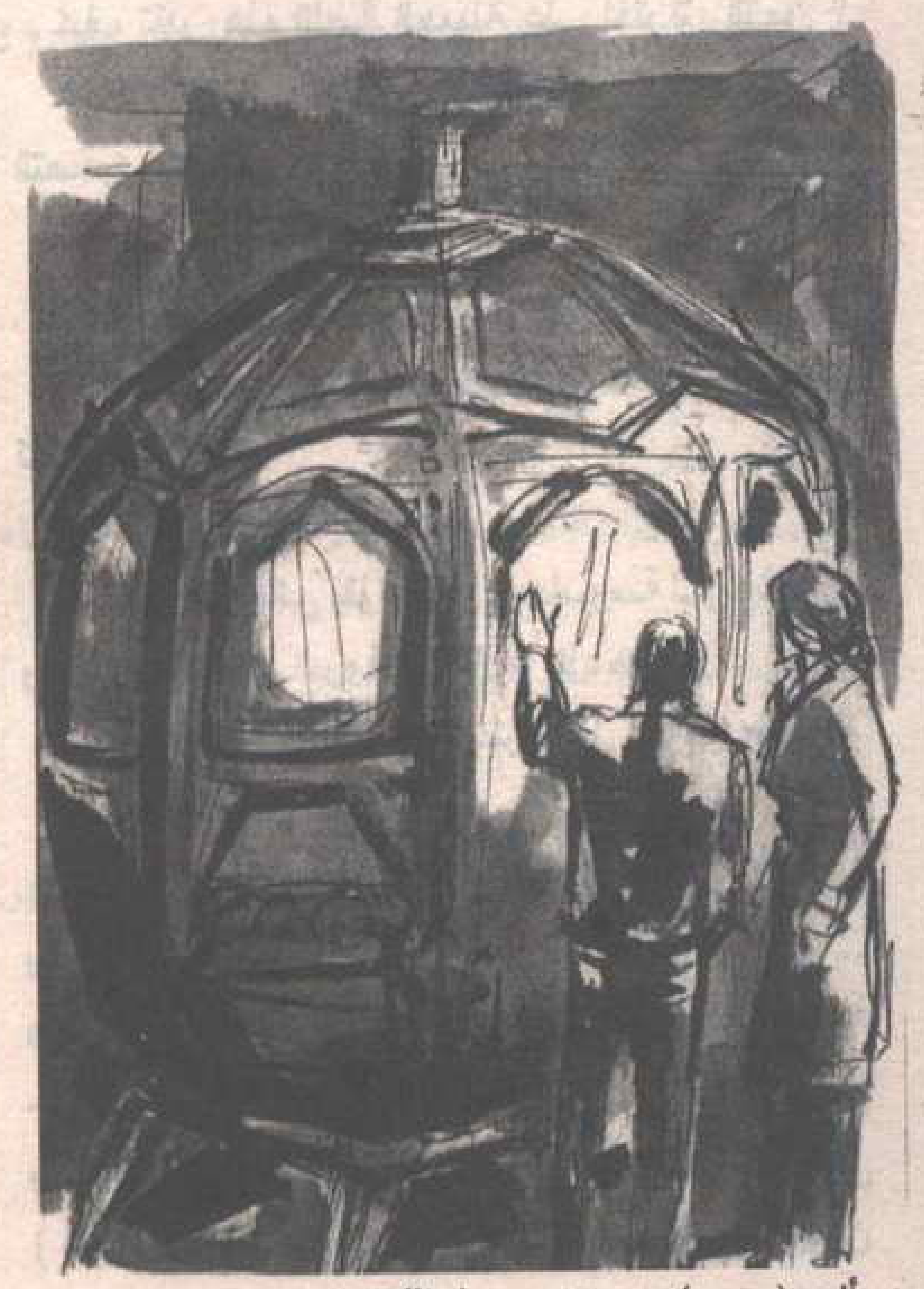
كلها اتفقت على أن آلة الزمن لا بد أن تشبه كرسى طبيب الأسنان .. وستكون هذه أول آلة زمن فى التاريخ تشبه كرة الأعماق ..

« أنت تحسبين أننا واهمون أو مخرّفون .. الواقع أن الأمر يبدو كذلك .. لكن عالمنا العظيم د. (هاوسمان) قد جرّبها مرارًا ووجد أنها فعالة .. لقد زار (كليوباترا) فى قاربها .. وحضر حوار (هانيبال) التاريخى مع (سكيبيو) الإفريقى .. وتأكّد من أن (هتلر) لم ينتحر كما حسب السوفييت ..

« الأمر سهل كما ترين .. ستجلسين داخل الكرة فى هذا المقعد .. ثم تديرين قرص الساعات ـ قرص الأيام ـ قرص الشهور ـ قرص الأعوام .. وتضغطين الزرّ الأحمر المكتوب عليه (ابدأ) ..

« عندها تنتقلين برحلة سهلة إلى الساعة التى تريدينها فى الماضى .. ويمكنك مغادرة الكرة للتفاعل مع الأحداث ..

« فما إن تنتهى مهمتك حتى تعودى إلى الكرة ، وتختارى تاريخ اليوم والساعة .. إن هذا سهل ويستطيع أى طفل أن يقوم به ..



سألت (عبير) وهى تدور حول الكرة :
- « وما جدوى الرجوع للماضى ؟ » ..

« الدكتور (هاوسمان) ؟ إنه ليس بيننا للأسف .. لقد قبض عليه رجال (جو القذر) وانتزعوا أظفاره ..

« لكنه ترك لنا تعليمات دقيقة واضحة عن كل شىء .. وصيانة هذا الجهاز ليست عسيرة .. »

★ ★ ★

هنا جاء دور السؤال الوحيد المنطقى وسط هذا كله ..

سألت (عبير) وهى تدور حول الكرة :

- « وما جدوى الرجوع للماضى ؟ »

- « يا له من سؤال ! طبعًا كى تغيرى مسار الأحداث الدامى الذى جعلنا نفقد (سوبرمان) .. »

واصلت الدوران حول الكرة ..

كانت بارتفاع قامة الإنسان ، وقد صنع هيكلها من مادة بوليمرية أقرب إلى البلاستيك اللين ، واختار لها العالم اللون الأحمر .. مما جعلها أقرب إلى لعبة بلاستيكية جميلة صنع (تايوان) ، ولم يبق سوى أن تباع فى كيس من (النايلون) مع تعليمات بأن بها أجزاء قابلة للابتلاع ، وممنوع اللعب بها للأطفال أقل من ثلاث سنوات ..

كيف تقدر هذه اللعبة الجميلة على اختراق الزمن ؟

عاد (كنج كونج) يسألها وهو يرمق عدم التصديق على وجهها :

ـ « هل تقدرين ؟ »

فكَرت حينًا .. ثم قالت :

ـ « ربما أستطيع المحاولة .. لكن ما الذى جعلكم تثقون بى ؟ »

ـ « لأننا لا نملك خيارًا آخر .. »

ـ « كل أصدقائى يقولون إننى جاسوسة لـ (لوثر) .. وإننى قد أسلمته البروفسور (ها كل هان) .. »

ـ « مصادرنا فى البيت الأبيض تقول إنك مكرهة .. »

كان هذا لحسن حظها ..

فى تاريخ الثورات كان المتعاونون مع الأعداء يلقون أشنع الجزاء على أيدى المقاومة السرية .. وكان من الأعمال اليومية لرجال المقاومة الفرنسية ـ فى الحرب العالمية الثانية ـ قتل النساء اللواتى يتعاملن مع الألمان .. وفى أعقاب الحملة الفرنسية على (مصر) (قُصفت) رقاب كل البنات اللواتى تعاملن مع جند (صارى عسكر) ، كما يؤكد (الجبرتى) ..

لهذا خطر لـ (عبير) عندما اختطفوها أن هذا هو جزاؤها على ما يحسبونه خيانة منها ..

لحسن الحظ أنهم يعرفون أكثر مما توقعت ..

★ ★ ★

جلست أمام قرص الأعوام .. واختارت العام الحالى .. ثم أخذت شهيقًا عميقًا على سبيل الاسترخاء ، وراحت تفكر ..

ما هى الساعة المثلى التى كان يمكن منع القضاء فيها ؟

إنها الساعة التى سبقت اقتحام رجال (لكس لوثر) لجريدة (ديلى بلانت) وقيامهم برش (الكربتونيت) الأحمر هناك ..

إنها الساعة الرابعة عصرًا .. ثم اختارت الشهر واليوم ..

هل تضغط الزرّ ؟ لِمَ لا ؟

إن هذه (فانتازيا) على كل حال ..

★ ★ ★

كان الانتقال سلسًا والحق يقال ..

لم تدخل تلك الدوامة الحلزونية التى تراها فى

السينما ، ولم تر أوراق النتيجة تعود لتغطيها ، أو حتى قيء الخواطر والذكريات المختلط الذى كانت تراه كلما سافرت إلى (فانتازيا) ..

لا شىء من هذا ..

فقط كان الثوار حولها فى لحظة .. ثم لم يعودوا هناك ..

فتحتْ باب الكرة .. وخرجتْ .. وأدركتْ أن جسم الكرة ساخن حقًا كما يحدث لمحرك السيارة بعد رحلة طويلة ؛ بل إن الجدار بدأ يلين قليلاً ..

أين هى ؟ بالتأكيد فى وكر الثوار الذى ستدخله أول مرة بعد أيام .. وهو يقع خارج المدينة ..

مشت إلى الخارج لترى ضوء الشمس يغمر المروج ..

ثمة أرنب مذعور فرّ حين رآها .. وصبى على دراجة يمرّ من بعيد .. رفعت عينيها للسماء كأنما بحافز خفىّ ..

رأت خطين من أزرق وأحمر يعبران الفضاء بسرعة ..

أغرورقت عيناها تأثرًا حين أدركت معنى هذا ..

كان هذا هو (سوبرمان) !

★ ★ ★

راحت تركض فى شوارع المدينة كالمحمومة ..

لم يكن معها مال تستقل به سيارة أجرة ..

ووسط أنفاسها اللاهثة سرّها أن ترى الناس الآمنين الذين لا يعرفون ما يداريه لهم الغد ..

وسرّها أكثر أنها لا ترى الملصق القبيح ولا العلم الذى عليه رأس (لوثر) الأصلع ، وتحته شعاره الشهير (أترك التفكير يا صديقى واتبعنى .. إن (لوثر) سيفكر بدلاً منى ومنك) ..

سيارات الشرطة العادية تمرّ بها فلا ترتجف .. بعد ثلاثة أشهر ستثير هذه السيارات رعب الجميع لأنها تعنى قدوم (جو القذر) ورجاله ، المستعدين للمشاغبة والتحرش أربعًا وعشرين ساعة يوميًا ..

أخيرًا ترى بناية (ديلى بلانت) ..

تنظر فى ساعتها وتدرك أن أمامها ساعتين ..

تستقل المصعد وتضغط رقم الطابق ..

وهنا ـ عند الطابق الثانى ـ تدرك الحقيقة المروعة ..

لقد تعطل المصعد !

★ ★ ★

٦ - ومازالت المحاولة مستمرة !

كلوستروفوبيا : (كلوستروم : مزلاج + فوبيا : خوف) .. خوف غير طبيعى لدى التواجد فى أماكن مغلقة أو ضيقة .

★ ★ ★

لكن (الكلوستروفوبيا) لم تكن هى جلّ ذعر (عبير) فى هذه اللحظة .. بل كان هناك ذلك الخوف المتوقع من فوات الفرصة ..

دقت الجرس مرارًا بإصبع متوترة ..

صوت أشخاص يقرعون الباب .. أشخاص يطلبون منها أن تتجلّد .. محاولات لفتح الباب ..

اللعنة ! إن الوقت يمضى ..

لاجدوى .. سنطلب رجال الإطفاء .. نصف ساعة آخر !

هؤلاء الحمقى لا يعرفون أن (سوبرمان) نفسه موجود معهم فى البناية .. لهذا صاحت وقد ألصقت فمها بالباب :

- « نادوا (كلارك كنت) ! »

- « ماذا تقولين ؟ »

- « نادوا (كلارك كنت) ! »

- « (جاك فلنت) ؟ لقد توفى منذ عام يا آنسة ! »

- « كـ - ل - ا - ر - ك - ك - ن - ت يا حمقى ! »

صوت الجدال .. ألن ينتهى هذا أبدًا ؟ ثم حمدًا لله !

إن المصعد يعود إلى التحرك كوحش مريض شفى فجأة ..

هو ذا الطابق .. ينفتح الباب كأنه يتمنى ألا ينفتح .. وجوه عدة تلقاها وهى تهرع إلى الخارج ، وصديقة تسألها :

- « هل كان هذا رهيبًا ؟ (لارا) ! لماذا تجرين ؟ »

تردّ وكعبا حذائها يقعقعان فوق أرضية الردهة :

- « أجرى من المصعد .. إنه يمثّل لى ذكرى أليمة ! »

وتصل إلى غرفة (المونتاج) فتجده جالسًا على مقعده الأثير .. بعويناته وبذلته الزرقاء التى لا يستبدلها إلا لمامًا : (كلارك كنت) الذى هو (سوبرمان) .. إنه ما زال حيًّا ..

تجذب مقعدًا وتجلس جواره ..

ـ « مرحبًا (لارا) .. يبدو عليك الذعر .. »

حتى فى (فانتازيا) يصعب عليها أن تصدق أنها تجلس جوار شخص ميت منذ ثلاثة أشهر .. قالت له وهى تعبّ الهواء فى جشع :

ـ « (سوبرمان) ! يجب أن تفرّ الآن .. »

ـ « هذا طلب غير معتاد .. وما السبب ؟ »

ـ « (لوثر) .. إنه سيقتلك خلال ساعة .. رجاله .. (كربتونيت) أحمر .. إنه يعلم .. (لوثر) .. »

إن التنفس عادة سيئة لا يمكن التخلى عنها .. حتى لو كانت الكلمات أكثر أهمية من الأنفاس .. لكنه تلقى الرسالة على كل حال ، واتسعت عيناه رعبًا وعاد يسألها هامسًا :

ـ « من قال لك هذا ؟ »

ـ « كف عن الأسئلة المملة .. و .. نفّذ .. نفّذ ما أقول .. هناك متسع من الوقت فيما .. فيما .... »

أغلق الملف الذى أمامه ونهض .. لقد نجا !

نظر لها نظرة لم تفهم معناها ، ثم هرع يتوارى فى الردهة خارج الغرفة ..

هنا سمعت الصراخ ..

★ ★ ★

كان هناك دخان .. لكنه لم يكن أحمر ..

كان هناك حريق .. حريق عادى جدًّا .. وثمة أشخاص يصرخون ويركضون فى الممر .. وعبارة تتردّد (حريق فى المطبعة) ..

لا بأس .. هذه مشكلة عادية تحدث فى كل مكان ..

ـ « إن (جاك) محاصر وسط ألسنة اللهب ! »

ـ « (ريتشارد) كذلك ! »

ـ « هل رجال الإطفاء ؟ »

ـ « لقد رحلوا ! وجدوا أن المصعد قد تحرّك و ..... »

خرجت إلى الردهة التى يملؤها الدخان ، وتمنت ألا يسمع (سوبرمان) أو يشمّ شيئًا من هذا ..

ـ « (كلارك كنت) بالداخل أيضًا ! »

سمعت العبارة فتصلبت فى هلع ..

هذا هو (سوبرمان) .. بالطبع لن يترك اثنين من الأبرياء يحترقان دون أن يتدخل حتى لو كانت حياته الخاصة مهدّدة ..

لكن الوقت يمرّ .. يمرّ بسرعة جنونية ..

واستطاعت أن ترى الدخان يفعم الردهة ، وترى أشباحًا تتحرك هنا وهناك .. ثم أدركت أن الضباب ينقشع .. ينقشع بمعجزة ما .. حتى صارت الرؤية واضحة تمامًا .. كأنه فيلم يدور بصورة عكسية حيث يخرج الأشخاص طائرين من الماء ، وتتجمع شظايا الزجاج لتصنع كوبًا أنيقًا ..

فى اللحظة التالية برز (كلارك) .. كان يترنح لكنه يجرّ وراءه (ريتشارد) من سترته .. ثم تركه على الأرض وعاد إلى داخل المطبعة .. وسرعان ما ظهر وهو يجرّ (جاك) ..

ورأته يهرع إلى النافذة ، فيتأكد من أن أحدًا لا يراه .. يتظاهر بأخذ شهيق عميق ثم يصدر زفيرًا هائلاً فتخرج من صدره سحابة من الدخان الأسود الكثيف ..

لقد استنشق النيران والدخان فى رئتيه ! هذه هى الطريقة التى قرّر أن ينقذ الموقف بها دون أن يفضح سرّه ..

ويعود إلى الردهة حيث احتشد المحررون حول

(جاك) و(ريتشارد) .. فيتأكد من أن التنفس الصناعى يجرى بنجاح ..

يقول له أحد المحررين وهو يمسح رأسه :

- « كان هذا حظًا سعيدًا يا (كلارك) .. »

فيقول (كلارك) وهو يتظاهر بالارتباك .. يمثل دور رجل جبان فوجئ بكارثة لم يتوقعها :

- « لقد انطفأت النار فجأة .. لا أدرى السبب .. لا بد أنه العرق الذى سال منى ! »

فيقهقه الرجال فى مرح .. ويقول أحدهم :

- « لكنك أنقذت الرجلين .. صحيح أنك فعلت هذا بعد ما انتهى الحريق لكنه عمل لا بأس به .. »

- « إن المواقف الحرجة تظهر الرجال .. »

هنا تدنو هى منه .. فتجذبه من ذراعه منتحية جانبًا .. وتقول هامسة :

- « كان هذا رائعًا .. والآن جاء دورك كى تنجو بنفسك .. »

- « حالاً .. حالاً .. »

وتنظر إلى ساعتها .. قد ضاع وقت كثير .. لم يعد باقيًا له سوى دقائق .. ربما لو أخبرته بكيفية اغتياله لأحسن الاحتياط .. ربما لو نصحته بأن .....

هنا صاح أحد المحررين وهو يشير لنهاية الردهة :
ـ « هناك دخان آخر .. لكنه .. لكنه دخان أحمر ! »
ينظر الجميع نحو موضع إشارته .. وتهمس هى لـ (سوبرمان) :
ـ « هذا هو .. أسرع بالهرب أرجوك ! »
فيتركها ويركض نحو غرفة جانبية ليستبدل ثيابه .. تلحق به هناك لتجده واقفًا أمام النافذة يرمق الضباب الأحمر الذى يتسرب منها .. والذى بدأ يفعم الحجرة ..
كان بثياب (سوبرمان) الكاملة .. وما إن سمعها تدخل حتى هتف :
ـ « هذا الضباب .. إنهم يعفرون الجريدة بـ (الكربتونيت) ! »
كاد يغمى عليهما حين تذكرت هذا الموقف ..
لقد عاشته للمرة الثانية ..
والآن كانت تعرف أنها ستعيش الماضى ـ ذات الماضى ـ بكل تفاصيله .. إن كل ما فى الماضى من قسوة يتكرر ..
هرعت إلى قمة البناية متوقعة تغييرًا ما ..
لكنها رأت ذات المشهد .. الصراع .. اللص الذى

يحمل الكاميرا .. سقوط (سوبرمان) فاقدًا لقواه .. الطائرة تقلع به .. بكاؤها جاثية على ركبتيها ..
وأخيرًا ـ منهوكة القوى ـ نزلت فى الدرج لتغادر الجريدة .. إن الماضى لا يمكن تغييره .. ولا يمكن إحياء من مات ..
لقد عرف هذا الدرس (سوبرمان) منذ زمن .. واليوم جاء دورها كى تعرفه بطريقة عملية مريرة ..
كانت سيارتها فى المرآب فاستقلتها هذه المرة لتخرج بها من المدينة قاصدة وكر الثوار إياه .. وفى الطريق كانت تسمع الأخبار وتسمع القوم يتكلمون عن ظهور (لوثر) على شاشات التلفزيون ..
دخلت آلة الزمن .. وكادت تضغط الأزرار التى تعود بها إلى اللحظة التى جاءت منها ..
ثم خطر لها أن تجرب من جديد ..
أدارت القرص ليعود بها إلى ما قبل مصرع (سوبرمان) بعشر ساعات .. يبدو هذا مناسبًا لأنه سيكون معها فى المكتب فى هذا الوقت بالذات .. ستحذره بكلمات سريعة هستيرية ، ولسوف يتغير كل شىء حتمًا ..

ضغطت الزرّ وراحت تنتظر ..

★ ★ ★

طبعًا سيكون مملاً أن أعيد وصف المشهد للمرة الثالثة ..

نعم .. ففى هذه المرة لم يكن هناك حريق فى جريدة (ديلى بلانت) .. لكن هناك زلزالاً رهيبًا فى (اليابان) .. زلزالاً شريرًا من النوع الذى يقتل الأطفال ويغوص بالأمهات ويقذف الأحجار على رءوس الشيوخ .. إن (اليابان) لن تتخلى كما يبدو عن هذه العادة الذميمة : عادة الزلازل .. وما كان (سوبرمان) ليستطيع ألا يتدخّل حتى لو كان فى هذا افتضاح سرّه ..

الحق أن عملية الإنقاذ استغرقت عشر ساعات إلا قليلاً ، وحين عاد ليسأل (عبير) عن الموضوع المهم الذى تبغى مفاتحته فيه ؛ كان الضباب الأحمر يفعم الردهة ..

و .. تكرّر المشهد الدامى من جديد ..

★ ★ ★

كفت (عبير) عن المحاولة ..

فهى - مهما كان غباؤها - أذكى من سلحفاة

الصحراء التى تمضى يومًا كاملاً تنطح صخرة فى طريقها ، دون أن يخطر ببالها الدوران من حولها ..

لقد أدركت أن تحدّى الصخر وهم ..

الماضى لا يمكن تغييره .. ولفظة (لو) مضيعة للوقت إلى جانب فتحها بابًا للشيطان .. إنها - كالدموع - لا تنقذ شيئًا ..

لهذا أدارت المؤشرات لتعود إلى الحاضر ..

وضغطت الزرّ الأحمر فى آلة الزمن ، وهى تلعن مخترعها واللحظة التى اخترعها فيها .. فالأمل الكاذب قاس حقًّا ..

لا بد من ممارسة اللعبة بقواعد الحاضر ..

★ ★ ★

٧ ـ محاولة جريئة أخرى ..

سألها (كينج كونج) غير مصدِّق :

ـ « إذن .. فالماضى لا يمكن تغييره .. »

قالت وهى تنظر لساعتها :

ـ « قالها (سوبرمان) مرارًا .. لكن لا بد من أن تجرِّب لترى بنفسك .. »

وأثار دهشتها أنها لم تتأخر فى الماضى سوى خمس دقائق بمقاييس الحاضر .. هذا طبيعى .. لقد اختارت ذات اللحظة التى بدأت السفر فيها ..

قال (تان تان) وهو يمسح بيده على شعره البنىّ المشعث :

ـ « وهذا الجهاز بلا قيمة إذن ؟ »

ـ « يمكنك أن تستخدمه للتحقق من ألغاز التاريخ .. إنه يصلح للدراسة .. لكنك لن تستطيع تغيير أى شىء .. »

ثم توقفت عيناها على المدعو (توم) ..

إنه يرتدى العوينات .. وله قامة وملامح تشبه (كنت) إلى حدٍّ ما .. خطرت لها فكرة لا بأس بها .. لِمَ لا ؟

★ ★ ★

اندفعت مركبة (جو القذر) فى شوارع المدينة .. يملؤها أوغاد يبحثون عن فرصة ما ، وهى لحظات يعرفها أهل المدينة ، ويعرفون أنه من الخطر الداهم أن يرى هؤلاء عجوزًا واهنًا ، أو حسناء رشيقة ، أو ثريًّا يوشك على ركوب سيارته الفارهة ..

كانوا يشربون علب الجعة بغزارة ، ويطلقون الرصاص فى الهواء بغزارة أكثر ..

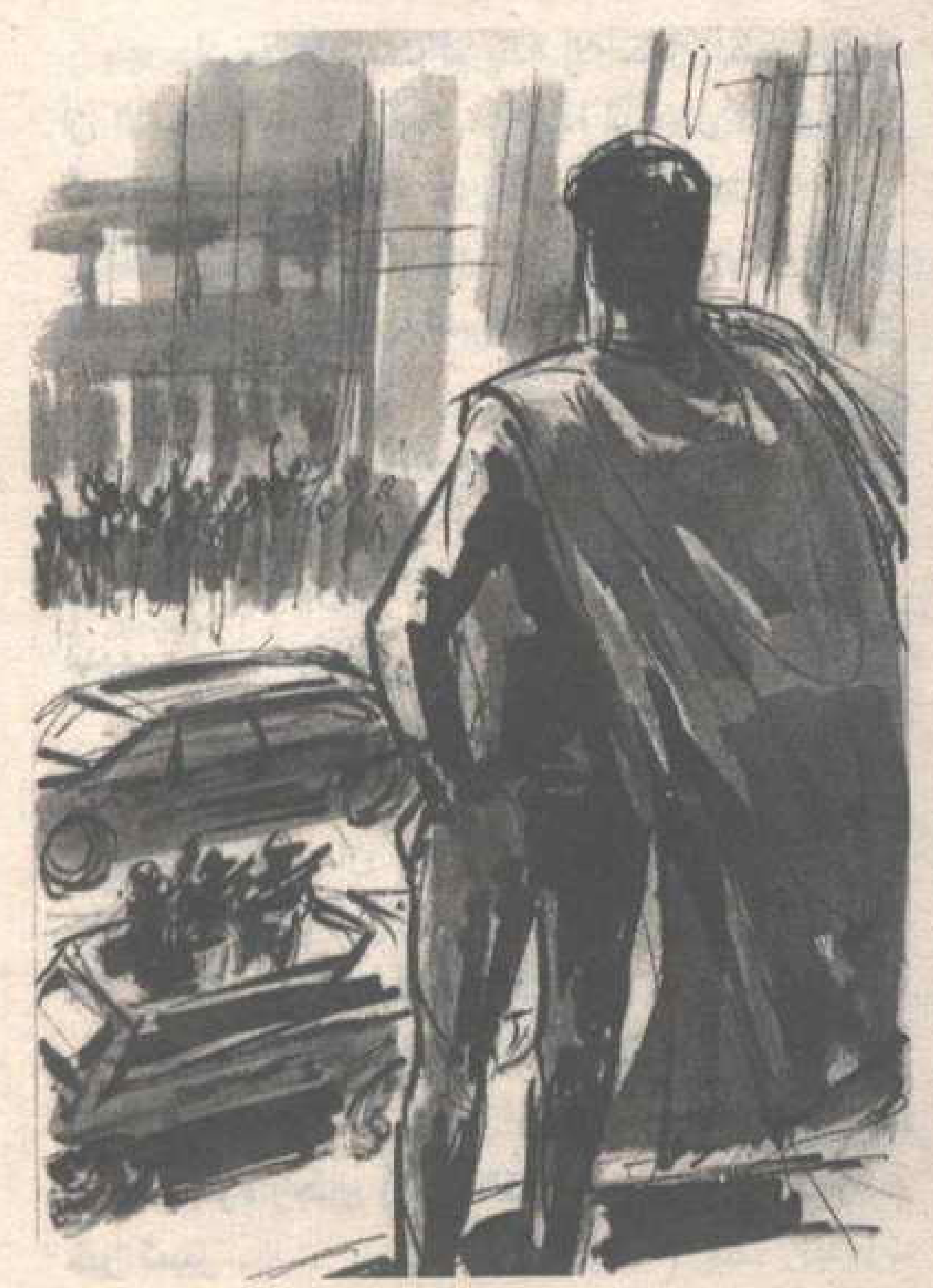
وفجأة ضغط السائق على الفرملة .. إ ى ى ى ى !

فاصطدمت وجوه الأوغاد بالمقاعد التى أمامهم .. وأطلق أحدهم سبّة على حين صاح (جو القذر) وهو يبصق سيجاره ، ويصلح من وضع عصابة عينه السوداء :

ـ « ماذا دهاك أيها الجحش ؟ هل جننت ؟ »

قال السائق مذعورًا وهو يشير لأعلى :

ـ « معذرة يا سيِّدى مدير الأمن .. لقد رأيت هذا ! »



كان هو (سوبرمان) بشحمه ولحمه .. يقف على بناية منخفضة تعلو حانوتًا صغيرًا ..

رفعوا عيونهم إلى الاتجاه ذاته فرأوه ..

كان هو (سوبرمان) بشحمه ولحمه .. يقف على بناية منخفضة تعلو حانوتًا صغيرًا ، وقد وضع قبضتيه فى وسطه ، وعباءته تتطاير مع الريح وخصلات شعره تنحدر فى شمم على جبينه .. الحق أنه بدا كملصق لأحد أفلام (سوبرمان) أكثر منه حقيقة واقعة ..

هتف (جو القذر) فى توحش :

ـ « مهرج ! أى أحمق يستطيع شراء هذه البزة من تجار الأشياء الممنوعة ! »

ثم أشار إلى الأمام فى صرامة :

ـ « أطلقوا الرصاص يا شباب ! تخيلوا أنه عيد الاستقلال ! »

ـ « يا هوووووه ! »

وانطلقت الرصاصات نحو الرجل الواقف .. لكنه ظلّ كما هو : رجلاً واقفًا .. ابتسامة مستخفة على شفتيه ، بل إنه تثاءب للحظة فغطى فاه بظهر كفه كأنما يعتذر عن نومه فى أثناء المحادثة .

بوم .. طاخ .. راتاتاتاتا ! بوم ! فلام !

مهرجان من الطلقات لم ينته إلا حين أحس القوم أن الأمر لا مزاحٍ فيه .. هذا الرجل لا يخترق الرصاص جسده حقًا ..

قال فى مرح بصوته المجلجل :

ـ « انتهى دوركم يا شباب وجاء دورى ! »

واتسعت عيناه ..

على الفور شعر اللصوص فى السيارة بأن شيئًا ليس على ما يُرام .. إن أسلحتهم تسخن إلى حدّ غير معقَ .. لا .. ليس هذا وهمًا .. إن الأسلحةَ تلتهب فى أيديهم نارًا .. هذا حق !

وصرخوا وهم يرمونها بعيدًا .. وكان الوقت كافيًا قبل أن تنفجر بما فيها من ذخائر على قارعة الطريق ..

صاح (سوبرمان) ملوحًا بقبضته :

ـ « اذهبوا لـ (لوثر) وقولوا له إن عهده انتهى .. فقط فى اللحظة التى أحدّدها أنا .. »

وأمام عيونهم المذهولة ارتفع محلقًا فى السماء ، وهو لا يكف عن القهقهة .. ضحكة انتصار واثق ..

إن وجوه رجال (جو القذر) لتعبر عن البلاهة خير تعبير ..

* * *

فى الكوخ الذى اتخذه الثوار الأربعة مقرًا لهم ، جلست (لارا) تتأمل تنكّر (توم) الذى لم يكن أسطوريًا لكن لا بأس به ..

كان قد خلع عويناته وارتدى ثياب (سوبرمان) كاملة ، طبعًا كانت هناك عدة ألعاب تكنولوجية خاصة بالبروفسور (هاوسمان) قبل أن ينتزعوا أظفاره .. فمثلاً هناك شعاع الليزر الحرارى الذى يصوّب من حزام البذلة ليحرق الأسلحة ، والجهاز المضاد للجاذبية الذى يتيح تحليقًا حرًا لمدة خمس دقائق ..

بعض الابتكارات فكّرت فيها (لارا) / (عبير) فى وقتها .. مثل الزجاج الواقى للرصاص الذى ثبتوا حاجزًا منه فوق البناية ، ووقف (سوبرمان) المزعوم خلفه وهو يتكلم ..

إن اللصوص الأغبياء يكونون ـ والحق يُقال ـ أغبياء .. ولو كان أحدهم قوى الملاحظة لرأى علامات الرصاص الشبيهة بالدوامات على الزجاج .. وكان هذا سيفسر كل شىء ..

لكن الخدعة كانت كافية ، والآن يركض اللصوص مولولين نحو (لوثر) ـ كما يفعل الكلاب الصغيرة

بعد ركلها ـ ليقولوا له إن (سوبرمان) عاد للحياة ..

ـ « لحسن الحظ أننا سرقنا جثة (سوبرمان) من مكانها .. سيعطينا هذا مصداقية أكبر .. »

قال (كنج كونج) وهو يشعل سيجارًا :

ـ « هكذا تكون الأمور .. (سوبرمان) يظهر فى عدة مواضع وتكثر الأقاويل ويرتجف اللصوص .. »

أضافت (عبير) :

ـ « .. ولن يصدّق (لوثر) حرفًا لأنه أذكى من هذا .. »

قال (توم) وهو ينزع عباءته ويلتقط أنفاسه :

ـ « إن كل هذا الذى نقوم به عبث .. فهو لن يحرّر الأرض ولن يقتل (لوثر) .. مجرّد جعل حياة (لوثر) مريرة لا أكثر .. »

قالت (عبير) وهى تجرّب العباءة على كتفيها :

ـ « هذا حق .. لكنه سيجعل عصابات (لوثر) أقل حريّة ، ولسوف يتعذبون فى كل لحظة يمارسون جرائمهم فيها .. متوقعين أن يثب عليهم (سوبرمان) من السماء .. »

وتنهّدت وقالت نصف شاردة الذهن :

ـ « هذا ـ طبعًا ـ توطئة لأن أغتال (لوثر) .. فأنا الوحيدة القادرة على ذلك .. »

ـ « ولماذا لا تفعلين ؟ »

ـ « إنه الخوف .. الجبن كما تعلمون .. لكنى سأهزمه لا محالة .. »

ونظرت إلى (توم) باسمة ، وسألته :

ـ « هل كنت خائفًا ؟ »

ـ « فقط بمقدار الخوف الذى يشعر به أى امرئ يرى ست بنادق آلية مصوبة نحوه .. خاصة وهو لا يثق بموضوع الزجاج المصفح هذا .. »

ضحكت وقالت :

ـ « هذا حسن لأنك ستظهر ثانية مساء الغد .. فى نفس الدور .. »

★ ★ ★

كان موكب (لوثر) يشق شوارع العاصمة ، تتقدّمه الدراجات البخارية التى يطلق راكبوها الرصاص على كل من لا ينحنى احترامًا ..

وفى المقعد الخلفى لسيارته (المرسيدس) السوداء التى أهداها له حاكم ولاية (ألمانيا) ؛ جلس

(لوثـر) يشـرب الشـمبانيا .. وجـواره (لارا) المتحدثة الرسمية باسمه .. كان غاضبًا بعض الشىء يقول والرغاوى البيضاء تحتشد على ركنى فمه :

- « (سوبرمان) عاد للحياة ؟ أى هراء ! الموتى لا يعودون للحياة حتى ولو كانوا من (كربتون) .. فقط (الزومبيون) فى قصص الرعب يفعلون ذلك .. »

قالت (لارا) وهى تراجع الأوراق التى تحملها :

- « ربمـا .. لكـن هـذا الهـراء يطـير ولا يقتـله الرصاص .. »

- « إن هذه الحيل بسيطة جدًا .. ولا تخدعنى .. »

ثم أردف وهو يصبّ مزيدًا من الشراب فى كأسه :

- « لماذا لم يفعل كما يفعل (سوبرمان) دائمًا ؟ لماذا لم يحلّق فى الهواء ويقلب عربـة (جو القذر) بمن فيها ، ثم يهشـم الأسلحة فوق رءوسهم ؟ لأنـه - هذا الـ (سوبرمان) المزعوم - كان أقرب إلى ممثل المسرح الذى يجب أن يبقى بعيدًا عن الجمهـور ؛ حتى لا يفتضح (الماكياج) البدائى الذى يضعه .. »

ابتلعت كلماتها .. ومن جديد شعرت برهبة ..

إن مشكلة هذا الوغد هى ذكاؤه .. ذكاؤه الخطر .. ذكاؤه المبالغ فيه ..

كـانِ المطر ينهمر فى غزارة ، وغدت الطرقـات أقرب إلى بركة زلقة تلتمع عليها كشافات السيارات عديدة الألوان ..

وفجأة توقّف الموكب ..

دنا أحد الحرس الشخصيين للحاكم العام ، فانحنى جوار زجاج النـافذة .. ضغط (لوثر) الـزرّ ليهبط الزجاج ببطء ..

قال الحارس وهو يخرج السماعة من أذنه :

- « معذرة سيدى .. ظننـا أنك ترغب فى رؤيـة هذا .. »

وأشار لأعلى ..

الحق أن المشهد كان يستحق الرؤيـة .. مشهد (سوبرمان) الذى يحلق فوق الرءوس وهو يلوح للجماهير التى احتشدت برغمها تحت الأمطار ..

إنـه هـو ! هـل هـو طـائر أم طـائرة ؟ لا .. إنـه (سوبرمان) ! وتعالى هتاف الجماهير .. الكل يرفع وجهه وسط خيوط الماء المنهمرة من مظلته أو قبعته ويصرخ فى فرح .. إلـى أيـن أنـت ذاهـب ؟ تعـال وخلصنا مما نحن فيه ..

فى جنون صاح (لوثر) :

ـ « المهرج السافل ! »

ووثب من العربة .. وصرخ فى حارسه الخاص :

ـ « هات هذه ! »

وانتزع المدفع (العوزى) من يد الحارس ، وصوبه للسماء وراح يضغط الزناد فى جنون لتدوى الطلقات فى كل صوب :

ـ « خذ هذه وهذه ! سأريكم أنه يموت كأى كلب ضالّ ! »

لكن (سوبرمان) واصل تحليقه مبتعدًا ..

هنا كان الحراس الآخرون قد تحمسوا ، فراحوا يطلقون الرصاص بدورهم على الهدف الطائر .. رائحة البارود والأمطار والرؤية العسيرة ..

دنا الحارس الأول من (لوثر) وهمس فى أذنه :

ـ « سيدى .. هلا ركبت السيارة حالاً .. »

ـ « لِمَه ؟ »

ـ « إن الجماهير تثور .. يبدو أن شغبًا سوف .... »

كان ذلك حين هوى قالب من القرميد على رأس الحارس ، فهوى على الأرض لتختلط الدماء بالأوحال ..

نظرت (عبير) إلى المشهد فشعرت بأن (جهنم) تتحقَق على الأرض .. مئات ـ بل آلاف ـ البشر يجلجلون فى غضب ، ويتقدمون من الموكب ، وتطايرت قوالب القرميد التى يكفى عددها لبناء هرم رابع ..

ركب (لوثر) السيارة وهو يصدر اللعنات ، وأمر السائق بالتحرّك .. على حين راح حراسه يفرغون طلقاتهم فى كل من له صدر أو بطن من الثائرين ..

نظرت (عبير) إلى الوراء عبر الزجاج المبتلّ ، وأحست أنها ترى كابوسًا ممطرًا .. وفى الآن نفسه أدركت أن أمر الحراس قد انتهى .. فالجمهور سيمزقهم إربًا ما إن تنتهى طلقاتهم .

واختلست نظرة إلى (لوثر) الذى كان يردّد دون كلل :

ـ « الأوغاد ! الدهماء ! سأريهم ! »

ثم رفع سماعة الهاتف طالبًا الاتصال بالجنرال (قنبلة) قائد الجيش .. فما إن جاءه صوته حتى صاح :

ـ « (قنبلة) ! أريد بعض طائرات (إف ـ ١٦) لتقصف وسط العاصمة ! أريد كثيرًا من الدماء والرماد .. »

- « لكن هذا يا سيِّدى ..... »

- « اخرس ! أريد أن تكرَّر ما فعله (هتلر) بـ (وارسو) .. »

- « لكن (هتلر) لم يقصف مدينة ألمانية .. ولكن .. حسن يا سيِّدى .. الأمر ما تقول .. »

وابتعدت السيارة ، ولوت (عبير) عنقها لترى الانفجارات والدخان يتصاعد إلى عنان السماء ..

كان (لوثر) هو أول دكتاتور يحرق عاصمته منذ عهد (نيرون) ، إن لم تكن معلوماتى التاريخية قد خانتنى ..

ومثل (نيرون) كانت نهايته دانية ..

كانت موقنة بهذا ..

* * *

٨ - كندور ..

أترك التفكير يا صديقى واتبعنى ..

إن (لوثر) سيفكِّر بدلاً منى ومنك ..

* * *

ضغطت على زر جهاز (الكتوم) ثم قادت سيارتها خارجة من المدينة ، قاصدة ملتقى الثوار ..

كانت - فى كل مرة - تخشى أن يعرف ذكاء (لوثر) الرهيب حيلتها ، لكنها كانت مطمئنة هذه المرة .. فهو فى حالة نفسية سيئة .. إن تأثير غضب الجماهير عليه كان ساحقًا ، وهو - ككل الطغاة - يثير جنونه أن يرى قدرة الناس على إظهار حنقها بعد ما حسب أنه روضهم تمامًا .. إنه دكتاتور لا يتظاهر بالديموقراطية ، وهو لا يتوقع أن يهيم به الناس حبًا .. لكنه لم يتخيَّل للحظة واحدة أنهم يمكن أن يظهروا عداءهم له بهذا الوضوح وهذه الجرأة .. وإلى حدّ تمزيق حراسه ..

« الويل لى لو وقعت فى أيديهم ! » .. هكذا كان يفكر ليل نهار .. وهكذا صار أقل ميلاً لمغادرة البيت الأبيض .. وصار أكثر عدائية .. لكن ـ نشهد له بهذا ـ لم يصدق قط موضوع (سوبرمان) المزعوم هذا ..

رجاله صدقوا .. وصاروا أقل حماسًا فى إظهار شرَهم .. وكما قال (جو القذر) ذاته همسًا :

ـ « لو أن (سوبرمان) حىّ فما زالت أمامنا الفرصة كى نظفر بالسجن المؤبد بدلاً من الكرسى الكهربى .. » *

وكان هذا شعور رجاله جميعًا ..

وقد منحهم (لوثر) مجاملة يستحقونها ، هى أنه وزّع عليهم قنابل (الكريبتونيت) .. يكفى الواحد منهم أن يقذفها على (سوبرمان) كى تنتهى مشاكله للأبد ..

كان (لوثر) مضطرًا لهذا الحلّ وإلا تمرّد رجاله عليه ..

★ ★ ★

دخلت (عبير) المقرّ الذى تلقى فيه (كنج كونج) ورجاله ..

وقالت لها الوجوه الواجمة إن كارثة ما قد حدثت ..

طبعًا حدثت كارثة .. وإلا من يخصّ هذا الجسد المغطى بملاءة بيضاء انتشرت عليها البقع الحمراء الدامية ؟

نظرت للوجوه .. (كنج كونج) .. (جيرى) .. (تان تان) .. من ينقص هذه المجموعة ؟

سألت عيناها (كنج كونج) : « إذن فقد أصابوه ؟ »

قالت عيناه الدامعتان : « نعم .. لكنه استطاع أن يطير إلى هنا .. »

سألته عيناها المغرورقتان : « كم طلقة أصابته ؟ »

قال وهو يدفن وجهه فى راحتيه :

ـ « كففنا عن العدّ بعد الطلقة الخمسين ! »

ـ « إذن كان (لوثر) ورجاله يطلقون الرصاص على جثة طائرة ؟ »

ـ « نعم .. لكنهم لم يعرفوا هذا لحسن الحظ .. »

انفجرت فى البكاء وتهاوت جوار الجثة الدامية :

ـ « هذا ذنبى أنا .. لقد اقترحت عليه أن يطير فوق موكب (لوثر) ليعطى تأثيرًا قويًا .. وما كان بوسعه أن يحتمى بالزجاج المضاد للرصاص .. مسكين يا (توم) ! »

قال (كنج كونج) فى أسى :

ـ « لقد كان يرتدى درعه المضاد للرصاص .. لكن الرصاص يخترق الرءوس أيضًا .. »

ـ « لا حل سوى أن نعتمد على أنفسنا فى الثوغة ! »

كانت هذه من الفرنسى طبعًا .. لكن (عبير) قالت فى وهن :

ـ « إن هذا سيكلفنا دماء كثيرة .. وما زلت أعتقد أننا نستطيع أن نستغل (سوبرمان) أكثر .. »

ـ « ماذا تعنين ؟ »

ـ « سأشرح لكم ...... »

★ ★ ★

أخرجوا جسد (سوبرمان) من عربة الإسعاف ، بينما عدد من المسلحين يقف ليراقب الطريق .. لحسن الحظ لم يكن هناك واحد من زبانية (جو القذر) .

كان الجسد بحالة جيدة إذا ما تجاوزنا عن اللون الأخضر الذى يصبغ البشرة كلها .. وقد استنتجت (عبير) أن لأبخرة (الكربتونيت) خاصية حافظة تمنع تعفن النسيج العضوى ..

انطلقت عربة الإسعاف مبتعدة ، على حين حملوا

الجسد العملاق إلى الداخل ، وقد أضفى وجوده رهبة صامتة على الموجودين ..

سألها (كنج كونج) وهو يريح الجسد على الأريكة :

ـ « ستفشل هذه المحاولة بدورها .. فلم لا نختصر الجهد ؟ »

قالت وهى تتحاشى النظر إلى وجه المتوفى :

ـ « إن هذا يستحق المحاولة .. »

وتعاونوا على حمل الجسد إلى القاعة الجانبية ، حيث تنتظر آلة الزمن الكروية إياها .. وكانوا قد أعدوا الفراء والطعام ..

فتحوا الباب وحشروا الجثة داخل الكرة حشرًا .. ثم إن (عبير) خطت فوقها لتتبوأ مقعدها أمام أقراص التشغيل ..

قال لها (جيرى) وهو يغلق الباب وراءها :

ـ « عودى لنا حية .. إن فقدك سيجلب لنا الدمار .. »

ـ « الأهم أن أعود مظفرة .. »

انسحبوا من القاعة .. فأخذت شهيقًا عميقًا وتأملت الأقراص .. إن آلة الزمن تتحرك فى الزمن جيئة

وذهابًا بسرعة البرق .. المطلوب فى هذه المرة أن تتحرك آلة الزمن فى المكان كذلك بنفس السرعة .. وهو ما أنجزه الثوار خلال أسبوع ..

فى الماضى كان الوصول للقطب الشمالى يحتاج إلى رحلة شاقة بالطائرة ثم بالزحافات التى تجرها كلاب (الهكسى) .. أما اليوم فهى تستعمل تكنولوجيا د.(هاوسمان) التى طورها تلاميذه ..

أدارت القرص فى اتجاه الشمال ، ثم ضغطت الزر الأحمر ..

★ ★ ★

الآن تشعر بأنها فى فقاعة هوائية تحلق فى الأجواء .. فقط هى واثقة من أن الفقاعة لن تنفجر ..

هى ذى (ألاسكا) .. ثم مضيق (ماكلور) .. ثم .. الجليد .. الجليد فى كل مكان .. أبيض لا نهاية له ..

وارتجفت لمجرد رؤية المشهد ..

مدت يدها إلى معطف الفراء ذى القلنسوة فارتدته ، ودست يديها فى القفازين السميكين ، واختلست نظرة إلى الجثة ذات الوجه الأخضر التى ترمق السقف بعينين لا تريان ..



ثم إن (عبير) خطت فوقها لتتبوأ مقعدها أمام أقراص التشغيل ..

ارتجفت أكثر فأكثر ..

والآن ترى القطب الشمالى الرهيب من أعلى .. جبال الجليد حيث تجمد مئات المستكشفين .. والوديان المتجمدة حيث تزأر الدببة القطبية بانتظار أن تطلّ الفقمات من فتحاتها ..

راحت تداعب القرص بخفة وعيناها تفتشان عن قلعة (سوبرمان) السرية .. القلعة التى زارتها معه فى تلك الليلة ..

إنها لم تنس منظر الجبل الذى تغفو القلعة فوقه ..

استغرق البحث عشر دقائق حتى وجدتها ..

تعلم أن الفتحة فى الباب العملاق تسمح بدخول كرتها ..

لقد وصلت إلى هدفها أخيرًا ..

★ ★ ★

كانت القلعة مضاءة من الداخل بوهج فوسفورى ينبعث من الماسات التى جلبها (سوبرمان) من كوكب (سيركاس) ..

الجدران الجليدية تشع برودتها القاتلة فى مسام جلدها .. مكان لا يستطيع سوى (سوبرمان) أن يعيش به ..

قالت للقلعة بصوت حاولت أن يكون ودودًا :

- « صبرًا يا صغيرتى .. إن سيدك عائد قريبًا .. »

ومشت بين الأجهزة التى تفعم المكان ..

ها هى ذى ضالتها .. الزجاجة العملاقة التى تغفو بداخلها مدينة (كندور) .. جهاز التدفئة وجهاز الأكسجين يعملان بكفاءة تامة فى إمداد المدينة باحتياجاتها ..

وتذكرت ما حكاه لها (سوبرمان) عن المدينة ..

لقد تعرَّضت لإشعاع تقليص سلطه عليها مجرم فضائى ، وكان إثر هذا أن صارت المدينة العملاقة فى حجم رقعة الشِطرنج .. وكان (جور - آل) أبو (سوبرمان) هو الذى وضعها فى هذه الزجاجة على أمل أن يجد طريقةً لاستعادة حجمها الأصلى ..

لكن القدر لم يمهله ، وانفجر (كريبتون) بمن عليه .. واضطر (جور - آل) إلى إرسال الزجاجة إلى الأرض فى نفس الصاروخ الذى أرسل ابنه الرضيع عليه ..

ومن يومها تعيش (كندور) فى قلعة (سوبرمان) بلا أمل ..

★ ★ ★

كان جهاز الإشعاع يقف جوار المنضدة التى وضعت عليها (كندور) .. جهاز إشعاع للتقليص ، استطاع به (سوبرمان) مرارًا أن يدخل الزجاجة ليزور أهل (كندور) ..

كيف كان يستعيد حجمه بعدها ؟ لا تدرى .. ربما تعرف من أهل (كندور) أنفسهم ..

المهم الآن أن هناك حقيقة واحدة : هذه الزجاجة تحوى الأحياء الوحيدين الباقين من (كريبتون) .. ولو خرج أحدهم منها لصار (سوبرمان) الجديد .. بل إنه - وهذا أفضل - من المحتمل أنهم يعرفون كيفية إعادة (سوبرمان) إلى الحياة ..

لاهثة راحت تجرّ جسد (سوبرمان) العملاق إلى مجال جهاز الأشعة .. سال العرق من جسدها وعلى جبينها ، وتجمّدت القطرات على أهدابها وحاجبيها لكنها تماسكت ..

وأخيرًا ألقته إلقاء على المنضدة ، وسقطت فوقه وهى تغمغم :

- « عليك اللعنة ! إنك ثقيل كالخرتيت ... »

وبيد منهكة ضغطت زرّ الجهاز ، وتركت الإشعاع يغمرها دون أن تحاول التحرك ......

* * *

لم يحدث شىء ..

ما زال (سوبرمان) ممددًا تحتها وهو ينظر لسقف القلعة الجليدى فى غباء .. وما زال .....

لحظة ! هذا الجبل الجليدى لم يكن بجوارها .. وهنا تذكّرت أن هذه كانت مجرّد قطعة جليد صغيرة بحجم ظفر اليد .. كانت هنالك على المنضدة جوارها حين بدأت التجربة ..

ورفعت عينًا مذهولة لترمق القلعة .. القلعة التى تحولت إلى كون شاسع بالنسبة لها .. إذن فهو يعمل ! لقد قلصها الإشعاع هى و (سوبرمان) حقيقة .. والأرض الخشبية الخشنة التى تقف فوقها هى ذات المنضدة التى كانت تراها ملساء ..

سيكون لديها وقت كاف لتندهش لهذا الشعور فيما بعد ؛ أما الآن فواجبها أن تتسلق لأعلى حاملة جثة (سوبرمان) إلى أن تجد فتحة تسمح بدخول الزجاجة .. كلا .. لن تقدر .. على (سوبرمان) أن يبقى هنا ..

كانت الزجاجة العملاقة - التى صارت الآن فى حجم يسمح بأن يستوعب مدينة كاملة - على جانبها .. واستطاعت (عبير) أن ترى خرطومًا هائلاً فى حجم أضخم خط أنابيب بترول يمكن تصوره ، يدخل من قطعة الفلين التى تسدّ عنق الزجاجة .. هذا هو خط الأكسجين الذى يسمح للمدينة بالتنفس ..

كانت هناك فتحة عملاقة أخرى واضح أنها لخروج الهواء من المدينة .. كما كان هناك خرطوم عملاق آخر يخرج من جانب الزجاجة يبدو أنه يلعب دور الصرف الصحى للمدينة ..

قررت أن أنسب الفتحات هى فتحة خروج الهواء ..

بدأت تتسلق خرطوم الأوكسجين العملاق .. كان غليظًا لدرجة أن المشى فوقه كان هينًا .. وبالطبع كان عليها أن تترك الجثة بالخارج .. ووصلت إلى عنق الزجاجة فدخلت فتحة الخروج ، التى كان حجمها يفوق (بوابة المتولى) عشر مرات ..

إنها تمشى الآن فى عنق الزجاجة حرفيًا ..

ثم جاء الجزء المنزلق لأسفل فتركت نفسها تنحدر ..

الحق أن فارق الحجم كان مروعًا لأنها ظلت تتدحرج حول نفسها لمدة ربع ساعة ..

فى النهاية وجدت أنها ممدّدة على الكلأ .. وعلى مرمى البصر تقف مدينة (كندور) تنتظر ، غارقة فى الشمس الصناعية الحمراء التى تعكسها مصابيح هائلة الحجم تضىء نهارًا وتنطفئ ليلاً ..

نظرت لأعلى وأدركت أن العودة عسيرة حقًا ..

إن الهبوط على سطح منحدر من الزجاج لهو أهون بالتأكيد من تسلقه .. يجب أن يزودها أحد بممصّات كالرجل العنكبوت كى تنجح فى العودة ..

لكنها - برغم غرابة الموقف - كانت مستمتعة بكل شىء .. فما دام الهدف من (فانتازيا) هو أن تحلم ، فبوسعها أن تستمتع بكل هذا ..

وأخيرًا رأتهم واقفين يرمقونها فى ذهول .. ستة من أهل (كندور) .. كانوا يشبهون أهل الأرض تمامًا .. لكن ثيابهم مختلفة أقرب إلى ثياب لاعبى (الكونج فو) أو (الجيدو) فى عالمنا ..

ووجف قلبها وهى تذكّر نفسها بأن هؤلاء مخلوقات من الفضاء .. آخر الناجين من (كريبتون) ..

دنا منهم أحدهم .. وبصوت رخيم سألها سؤالاً حاسمًا :

- « # !؟ ه # S !؟؟ ذذ # ؟ »

آه ! لقد نست حاجز اللغة .. طبعًا هنا يصعب أن تتوقع إجادة هؤلاء القوم للإنجليزية أو الفرنسية ، ومن الوارد أنهم لا يستعملون ذات إشاراتنا الإيمائية على الأرض ..

قالت محاولة أن تبدو واضحة :

- « (سوبرمان) .. هل تعرفونه ؟ ابن (جور - آل) .. إنه فى مأزق .. كنت أريد العون .. »

تبادلوا النظرات .. كانت قسماتهم دقيقة جدًا وأقرب إلى الجمال المثالى بالنسبة لنا نحن سكان الأرض ..

أخيرًا قال أحدهم بصوت رخيم هادئ :

- « إننا نعرف هذه اللغة يا امرأة .. لقد تعلمناها من مراقبة (سوبرمان) على شاشة الراصد .. »

ثم انحنى نحوها يتأملها فى اهتمام :

- « تقولين إنه فى ورطة .. هل تعنين أنه جريح ؟ »

فى حرج قالت :

- « بل أسوأ .. أعتقد أنه .. احم .. ميت ! »

اتسعت عينا الرجل ذهولاً ، واستدار لينقل الخبر للآخرين بلهجة ملهوفة ، فتصاعدت الكثير من الآهات والـ (أوه) والـ (ياه) .. على حين عاد الرجل يسألها وقد اتخذ سيماء من يعرف ما ينبغى عمله :

- « أين هو ؟ »

أشارت لأعلى وغمغمت :

- « خارج الزجاجة .. (كربتونيت) .. »

- « حسن .. الحقى بنا إلى المدينة .. وسنرسل نحن طائرة حلقية كى تجلبه ها هنا .. »

وهتف آمرًا امرأة تقف بقربه :

- « (كليا) .. اطلبى مجلس الحكماء حالاً ! »

* * *

٩ـ الصفقة ..

يتكون مجلس الحكماء فى (كندور) من ثلاثين شيخًا ممن تجاوزوا الأربعمائة عام فى السن .. فهذا السن يعنى بلوغ ذروة الحكمة بالنسبة لأهل (كريبتون) ، خاصة وأن تقدم الطب جعل كلمة (الشيخوخة) لفظة من تراث الماضى ..

وكان أعضاء المجلس يضعون خوذات التخاطر ، ويفكّرون جميعًا فى حلّ أية مشكلة تعرض عليهم ، وتصبّ الخوذات جميعًا فى جهاز حاسب آلى يقوم بترشيح الإجابات واختيار أفضلها .. ثم ينطق بإجابة وحيدة وافية ..

★ ★ ★

ولم تكن (عبير) بالخارج لترى ذلك المشهد الذى لا يُصدَّق .. مشهد الطائرة الحلقية ـ وتشبه مقعدًا فوقه ضفيرة حلزونية لا تكفّ عن الدوران ـ وهى ترتفع لأعلى لتغادر الزجاجة .. ثم يلتقط طيارها جسد

(سوبرمان) ليضعه على ركبتيه ، ويرتفع من جديد عائدًا إلى الزجاجة ..

لم تر هذا المشهد ، ولو رأته لتساءلت : « ما دام أهل (كندور) يغادرون زجاجتهم بهذه السهولة ، فما هى المشكلة فى خروجهم إلى العالم الخارجى ؟ »

كانت الإجابة ستكون : إن إشعاع التكبير لا توجد منه سوى جرعات معدودة لا تكفى إلا لرحلات (سوبرمان) من وإلى الزجاجة ، ولو غادر أحد سكان (كندور) زجاجته لصار خارق القوى ، لكنه سيظل بحجم نملة .. مجرّد نملة خارقة ..

ثم إن هواء الأرض المفعم بالنتروجين لا يناسب رئات سكان (كندور) ، الذين اعتادوا على استنشاق تركيز مائة بالمائة من الأوكسجين ..

لهذا رضى هؤلاء القوم بحياة النمل التى يعيشونها فى زجاجتهم ، واعتبروا (سوبرمان) ـ ابن كوكبهم ـ أبًا وراعيًا لهم ..

وكانوا يعرفون أنه لن يتخلى عنهم أبدًا ..

لهذا كانت صدمة وفاته أقرب إلى صدمة وفاة أب للجميع .. وأول ما يفعله المصدوم هو تصرف بسيط جدًا : لا يصدّق ..

لم يصدّقوا ما حدث ..

فقط حين تمدّد الجثمان الأخضر أمام مجمع الحكماء ، أدركوا الحقيقة .. فهم كانوا يموتون فى (كندور) ويشيخون ، لكنهم كانوا يعرفون الخواص المنيعة للشمس الصفراء ، ويتوقعون أن يعيش (سوبرمان) بعدهم جميعًا ..

يا للكلمات التى قيلت .. والأشعار التى ألقيت على الجثمان إلقاء ! لقد نجحوا فقط فى جعل (عبير) تسكب لترين من الدموع ، وكانت تتوقّع أن يقدموا لها حلولاً باترة ..

أخيرًا صدر صوت الحكمة من الحاسب الآلى الذى يمحّص الآراء .. قال بصوت آلى رتيب :

ـ « لقد هلك (سوبرمان) جزاء شجاعته .. »

نظرت (عبير) إلى صفوف الشيوخ الذين جلسوا كما فى مدرجات الكرة ، والخوذات على رءوسهم فبدوا كقردة عجوز تنظر من فوق غصون الأشجار إلى وافد جديد ..

قالت فى حنق :

ـ « هل هذا هو كل ما لديكم ؟ »

قال الصوت برتابة :

ـ « نحن نسير قدمًا إلى المخطط الذى وضعه (سوبرمان) بنفسه .. المباريات الأوليمبية بين شباب (كندور) من أجل اختيار أفضل شبابنا وأقواهم .. هذا الشاب سيرتدى ثياب (سوبرمان) ويخرج من الزجاجة ، ثم ينال واحدة من الجرعات الخمس الباقية من أشعة التكبير .. وهكذا يولد (سوبرمان) جديد ! »

بدت الفكرة جيدة بالنسبة لـ (عبير) .. على الأقل هى تعيد السلام إلى الأرض بعد طول غياب ، وإن لم تعد لها (سوبرمان) الأصلى الذى أحبته ..

قالت فى شىء من حماس :

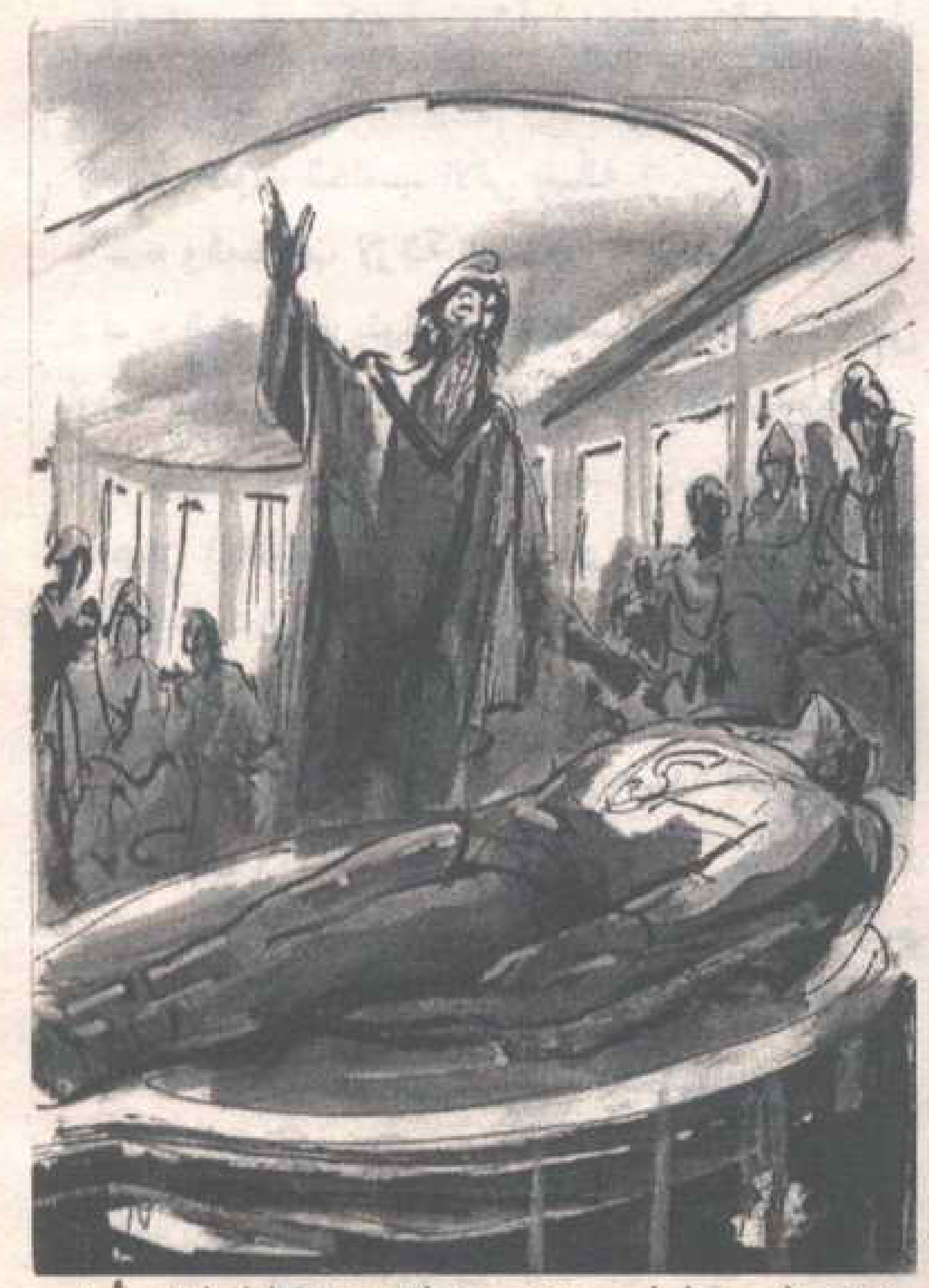
ـ « لا بأس .. متى يبدأ هذا ؟ »

ـ « بمجرّد أن تنتهى إجراءات الدفن .. »

هنا نهض أحد المواطنين من مقعده ، ولوّح بيده :

ـ « المواطن (جيربال) يطلب الكلمة .. »

كان هذا المواطن (جيربال) عجوزًا ، محنى القامة ، له رأس عملاق ، أصلع ، احتقن بالأوردة .. وتساءلت (عبير) عن سبب عدم انضمامه إلى مجلس الحكماء ما دام تجاوز ـ بالتأكيد ـ ألف عام من العمر ..



نهض (جيربال) .. وتقدم بخطا متعثرة كليلة ليقف أمام المجلس .. وأمام جثمان (سوبر مان) ..

قال (جيربال) بصوت يناسب مظهره :

- « سادتى الحكماء .. قبل أن ندفن ابن (جور - آل) العظيم أرى أن نجرب شيئًا .. اختراعًا ابتكرته منذ أعوام وعرضته على (سوبرمان) .. لكنه رأى فيه خطرًا أى خطر .. إن هذا الجهاز يُدعى (كربتوكلير) .. وهو قادر على تصفية (الكربتونيت) من دم ضحاياه .. »

- « فليوضح لنا المواطن وجهة نظره أكثر .. »

نهض (جيربال) .. وتقدم بخطا متعثرة كليلة ليقف أمام المجلس .. وأمام جثمان (سوبرمان) .. تذكَرت (عبير) لوحة (درس فى التشريح) التى رأتها لرسام نسيت اسمه(*) .. كان المشهد شبيهًا بهذا إلى حدّ ما ..

قال (جيربال) بصوته الواهن الرقراق :

- « تلاحظون يا سادة أن جسد (سوبرمان) لم يتعفن .. وهذا يخالف كل قوانين الطبيعة التى تنطبق على أهل الأرض وأهل (كربتون) سواء .. الحقيقة

(*) (رمبراندت) .. رسام هولندى .

أنه لم يمت .. إنه فى حالة (إحياء مؤقت) بفعل (الكربتونيت) .. تسمم هو كأى تسمم آخر .. »

دوّى صوت الحاسب الآلى يسأله :

ـ « والمطلوب لإزالة هذا السمّ ؟ »

ـ « إنه (الكربتوكلير) يا سادة .. ظننت أننى أوضحت هذه النقطة .. لكن هذا الاقتراح ليس هينًا .. »

« إن (الكربتوكلير) يحتاج إلى إجراء دورة تبادلية مع شخص آخر سليم .. بمعنى أننا سنأخذ دم (سوبرمان) .. ونحقنه فى دم المتطوع .. ثم نسحب دم المتطوع وننقيه ونعيده إلى جسد (سوبرمان) .. »

لم تكن (عبير) تعرف أن هذا التطبيق يتم استخدامه مع مرضى الفشل الكبدى منذ زمن بعيد .. لكن مشكلته الدائمة هى السؤال الأخلاقى : لماذا نقتل واحدًا لنحيى آخر ؟

وكان هذا هو الوضع مع الـ (كربتوكلير) ..

فحسب ما قاله الأخ (جيربال) ، فإن المتطوع

الذى سيستبدل بدمه دماء (سوبرمان) لا بد أن يهلك .. إن (الكربتونيت) سام لكل أهالى (كريبتون) أقوياء كانوا أو عاديين ..

صاحت (عبير) صادقة :

ـ « ولماذا يكون المتطوع من (كريبتون) ؟ أنا مستعدة تمامًا »

قال (جيربال) بصوت ساخر واهن :

ـ « يا صغيرتى .. نحن لا نعرف أىَّ شىء عن دم الأرضيين .. إننا نتشابه فى المظهر حقًا .. لكن دمينا قد لا يتطابقان إلى هذا الحدّ .. قد يكون خلط الدمين خطرًا .. »

ـ « إذن من يتطوّع ؟ »

اهتزّ رأس (جيربال) الأصلع .. وغمغم :

ـ « يسرنى أن أسدى هذه الخدمة الأخيرة لابن (جور ـ آل) .. »

ـ « لا يا (جيربال) .. أنت ..... »

ـ « أنا ماذا ؟ لقد رأيت كل شىء وجربت كل شىء .. والمزيد من الحياة لا يعنى لى سوى المزيد من الملل .. »

وإلى مجلس الحكماء استدار ليقول فى تؤدة :

- « إننى أضع نفسى تحت تصرف المجلس الموقر .. »

★ ★ ★

راح الجهاز غريب الشكل يهدر .. تنبعث منه أنوار حمراء وزرقاء كأنه لعبة أطفال جميلة الشكل ..

وعلى إحدى المنضدتين تمدّد جسد (سوبرمان) .. وعلى الأخرى تمدّد (جيربال) كقرد عجوز ضامر ..

قال (جيربال) لمساعده الذى وقف جوار الجهاز :

- « الآن يا (نمسيس) .. »

جذب المساعد مقبضًا ، فراحت الأنوار تتوهج وصدر صوت أزيز غريب كحشرجة الموت لدى فرس النهر (ويعلم الله أننى لا أعرف كيف يكون) ..

وساد الصمت هنيهة ..

بعدها أدركت (عبير) أن شيئًا حقيقيًا يحدث ..

كان اللون الأخضر يزول من على قسمات (سوبرمان) ببطء .. ببطء .. وخيل لـ (عبير) أن ركن فمه الأيمن اختلج لحظة .. ثم سمع الجميع أنينًا ..

نظروا لـ (جيربال) فوجدوا وجهه أخضر .. وعينيه شاخصتين إلى السماء .. ثم سمعوا الأنين من جديد ..

هذه المرة كان صادرًا من (سوبرمان) ..

★ ★ ★

خاتمة

فى حفل مهيب واروا جثمان (جيربال) التراب ..

إن أهل (كريبتون) كانوا يدفنون موتاهم مثلنا ، وكان المشهد بحق مؤثرًا خاصة حين انطلقت أبخرة الـ (سورجا) معلنة أن الفقيد هو من أبطال (كريبتون) الخالدين ..

طوق (سوبرمان) كتف (عبير) بيد قوية ، وقال للرجال :

ـ « لا أدرى ما أقول .. إن (كندور) قد غمرتنى بكرمها .. أكثر مما تقدر الكلمات والأفعال على التعبير .. »

قال له زعيم (كندور) :

ـ « لا داعى للكلمات .. عليك بأن تعود إلى الأرض الآن .. »

نظر لـ (عبير) ثم أمسك بيدها .. ومن أعلى

هبطت الطائرة الحلزونية كى تحملهما إلى خارج الزجاجة .. حيث أشعة التكبير .. »

★ ★ ★

هذه المرة لم تشعر بالبرد ولا بالخوف ..

كانت ملتفة كقطعة صغيرة فى عباءته المنيعة ، وهو يحلق بها بسرعة البرق فوق القطب الشمالى .. نحو الجنوب ..

قالت له همسًا :

ـ « عدت للماضى كى أحاول إنقاذك .. »

ابتسم .. وغمغم :

ـ « لماذا ؟ حسبتك وعيتِ الدرس جيدًا .. لا يمكن تغيير الماضى .. »

ـ « لا تصدق حتى ترى .. »

ثم أردفت :

ـ « وأرسلت ممثلاً يلعب دورك .. لكنهم قتلوه .. »

قال لها وهو يتحفز :

ـ « يبدو أن لديك ذكريات جميلة حقًا عن فترة غيابى .. لكن دعينا من هذا الآن .. إننا ندنو من البيت الأبيض .. »

همست فى توتر وهى ترى أضواء (واشنجتون) من بعيد :

ـ « خذ الحذر .. فهم جميعًا يحملون قنابل (الكربتونيت) الآن .. »

ـ « من هم ؟ »

ـ « لا أدرى إن كنت تعرفهم .. هى ألعن مجموعة من شذاذ الآفاق .. منهم (مجنون) و(قنبلة) و(جو القذر) .. »

ـ « آهاه .. أعرفهم جميعًا .. كلهم أعدائى كما يقول .. كما يقول ...... »

ـ « كما يقول (رجائى عليش)(*) .. »

ـ « حسن .. والآن أريد منك أن تبقى ها هنا ، وتستعدى لكتابة أروع مقال كتبته فى حياتك .. »

وهبط بها فوق قمة ناطحة سحاب ..

فك عنها عباءته ، وسألها فى رفق :

ـ « هل تشعرين ببرد ؟ »

(*) أديب مصرى موهوب كتب روايتى (لا تولد قبيحًا) و(كلهم أعدائى) ، ثم انتحر بسبب تجاهل النقاد لموهبته .

ـ « لا .. لكن غد سريعًا .. »

ووقفت ترمقه وهو يحلق مبتعدًا ، ليختفى فى الظلام ..

★ ★ ★

وكان (لوثر) جالسًا فى المكتب البيضاوى يملى على سكرتيره آخر أوامره .. ثورة فى (الصين) ؟ أريد صاروخًا برأس نووى هناك .. زيدوا الضرائب على ولاية (المكسيك) وولاية (موزامبيق) .. اطردوا مليون موظف من أعمالهم فى أنحاء العالم .. أنا لا أطعم الكسالى ..

هنا رأى الحذاء المطاطى الأحمر يخطو بتؤدة فوق البساط الإيرانى الفاخر .. كان الظل يغمر وجه وجذع القادم فلم يتعرفه ..

قال له فى ضيق :

ـ « من أنت ؟ هل تريد شيئًا ؟ »

ثم تميّز ملامح الوجه .. والشعار على الصدر ..

ـ « أ (سوبرمان) ؟ »

ابتسم (سوبرمان) ساخرًا ، ولم ينطق بشىء ..

هتف (لوثر) وهو يمدّ يده فى درج مكتبه :

- « صبرًا أيها المهرّج ! سنعرف حالاً ما إذا كنت ..... »

وانتزع بندقية آلية مرعبة الشكل ، وصوّبها إلى الرجل الواقف أمامه وأفرغ خزينة كاملة من الطلقات ..

لم ينس التصويب على الرأس ليتأكّد من أنه لا يرتدى درعًا مقاومًا للرصاص .. إن أشياء كهذه لا تفوت (لوثر) ..

فى النهاية ألقى البندقية جانبًا .. وأكمل عبارته :

- « ... مهرجًا أم لا ... »

كان دخان الطلقات يفعم هواء الحجرة .. وبدا (سوبرمان) كأنما يقف فى فوهة بركان مشتعل .. وظهر رجال يهرعون من كل صوب على صوت الطلقات ..

أخيرًا همس (لوثر) وهو يتراجع :

- « هذا سخف .. أنت ميت ! »

- « إن من يرفض الواقع هو خاسر ردىء يا (لوثر) .. »

وقبل أن يفهم (لوثر) ما يحدث ، كان (سوبرمان) قد وثب فوقه ليحتضنه - كأم حنون - بين ذراعيه ، ثم يكسر الزجاج ليحلق به فى الفضاء المظلم ..

ولم ينس (سوبرمان) أن يقول بصوت عال :

- « لا تنصرفوا يا رجال .. سأعود فورًا ! »

تبادل رجال (لوثر) النظرات ، وابتلعوا ريقهم ..

★ ★ ★

- « أنت لن تقتلنى يا (سوبرمان) .. إن قسمك يمنعك من قتل ذبابة ! »

قالها (لوثر) فى غلّ وهو يوشك على قضم وريد عنق (سوبرمان) الملامس لفمه .. لولا - بالطبع - أن هذا سيهشم أسنانه ..

قال (سوبرمان) باسمًا وهو يزيد من سرعة طيرانه :

- « كنت أتمنى هذا لكنه مستحيل .. »

- « إذن إلى أين ؟ »

- « إلى ما هو أسوأ من الموت ! »

ازدادت سرعة الطيران وبدأت حلقات من اللون



كان (سوبرمان) قد وثب فوقه ليحتضنه - كأم حنون - بين ذراعيه ،ثم يكسر الزجاج ليحلق به فى الفضاء ..

الأسـود والفوسـفورى تحيـط بهمـا ، فيخترقهـا (سوبرمان) دون تردّد ..

- « (سوبرمان) .. أنت تخترق حاجز الزمن ! »

قالها (لوثر) وقد بدأ يفهم .. فقال (سوبرمان) :

- « لقد فهمت .. »

- « ولكن لماذا ؟ »

- « سترى حالاً .. »

كان هناك مستنقع .. وغابة من (السرخس) .. وبركان قصىّ يتصاعد منه بخار أسود كثيف .. وفى السماء تحلق طيور غريبةَ المنظر ..

هناك توقف (سوبرمان) وأنزل فريسته ..

صاح (لوثر) وهو يرمق ما حوله :

- « أين نحن بحق السماء ؟ »

- « نحن فى الحقبة (الباليوزية) مـن عصور ما قبل التاريخ .. وهى السجن الذى اخترته لك ! »

- « هل تمزح ؟ إننى هنا سأكون فريسة باردة لكل العظايا ، ما لم يقتلنى بخار الكبريت هذا .. »

رفع (سوبرمان) صدره ونظر للسماء ، وغمغم :

- « جرّب استعمال ذكائك .. من يدرى ؟ لربما اخترعت آلة زمن من لحاء الأشجار وعظام طيور (التيروداكتيل) .. »

وبدأ يرتفع فى السماء محلقًا ، فصاح (لوثر) فى جزع وهو يلوح بقبضته ، غير قادر على تصديق أن هذا حقيقى :

- « قاتل ! أنت تعرف أن ما فعلته هو القتل البطىء ! »

- « ليس قتلاً يا (لوثر) .. فكر فى الذين احترقوا بقنابلك فى قلب (واشنجتون) ، وأحمد اللّه على أننى لم أعاملك بالمثل .. »

قال (لوثر) شيئًا .. لكنه كان قد صار بعيدًا جدًّا .. جدًّا ..

أشبه بعظمة ديناصور ملقاة بجوار المستنقع ..

* * *

استسلم لصوص (لوثر) على الفور فلم تعد منهم مشكلة ..

وبدأت حكومات العالم تستعيد استقلالها ، وعاد

الرئيس الأمريكى إلى البيت الأحمر ليعيد طلاءه بالبلاستيك الأبيض من جديد ..

وجلست (لارا) / (عبير) جوار (سوبرمان) فوق تمثال (لنكولن) بهضبة (راشمور) ، يصغيان لأغنية الصمت ..

قال لها وهو يتأمل الوادى المترامى أمامه :

- « الحق أن (لوثر) حقق لأمريكا حلمًا قديمًا : أن تكون هى حاكمة العالم .. »

- « وهل كنت تتمنى هذا ؟ »

- « بالطبع لا .. إن واجبى هو أن تحافظ الشعوب على استقلالها وحريتها وتفردها .. أحيانًا أحلم بعالم موحد بلا حدود ولا حروب ولا جوازات سفر .. لكن دون أن تسيطر عليه دولة واحدة .. »

ثم قرّب رأسه من رأسها وقال :

- « هل تعرفين ؟ لقد بدأت أفكّر من جديد فى موضوع إضرابى عن الزواج هذا .. »

- « وهل تعرف ؟ إننى ..... »

كليك كليك !

نظرا للوراء فوجدا الشكل الذى تعارفنا على تسميته (المرشد) .. كان يداعب قلمه الزنبركى فى صبر ، وعلى وجهه ابتسامة سمجة ..

ـ « قد حان الوقت يا (سوبرمان) .. سأعود بالآنسة حالاً ! »

قال (سوبرمان) بصوت مبحوح :

ـ « لكننا كنا نتحدَث عن الزواج .. »

ـ « إن هذا سيحبط كل قارئات قصصك .. أقترح أن ننهى هذه المغامرة حالاً ما دام الجميع بخير .. »

نظر لها (سوبرمان) نظرة مقدّر للأمور .. وغمغم :

ـ « إن قوانين (فانتازيا) أقوى من (سوبرمان) نفسه يا (لارا) .. وأرى أن تطيعى هذا الأحمق .. »

لحظة صمت طالت .. ثم نهضت متثاقلة .. وهمست :

ـ « وداعًا يا (سوبرمان) .. ربما أعود يومًا .. »

ـ « وداعًا يا (لارا) .. »

واستدارت لتلحق بـ (المرشد) ..

★ ★ ★

فى القصة القادمة تعيش (عبير) حلم أن تكون زوجة ملك .. وملك (بريطانيا) بالذات ..

لكن ـ كما نتوقع ـ سيكون هذا الملك هو (هنرى الثامن) قاتل زوجاته ، وتكون هى (آن بولين) أشهر ضحاياه !

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية للجيب

٨١٧٨٩

من بعد سوبرمان


د. أحمد خالد توفيق

فى الجزء الثانى من لقائنا مع (سوبرمان) ، نواجه عالمًا كابوسيًا يسيطر فيه السفاحون والأوغاد والقتلة على الأرض .. والأدهى أن علينا أن نواجه هذا كله بدون (سوبرمان) .. باختصار : يشبه الجزء الثانى واقعنا الحالى تمامًا .. ولكن بقواعد (فانتازيا) !

الثمن فى مصر ١٥٠ قـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

